

كتاب اليوم
ملاعيب
الولد الشقى
Looloo
www.dvd4arab.com
محمود السعدنى

ملاعيب الولد الشقي



محمود السعدني







انجلترا إن أمكنا!

■ كتاب اليوم ـ عدد أغسطس ■

أيام الصبا المبكر ، وفى عام ١٩٤٦ على وجه التحديد ، كان مجال العمل السياسى مفتوحا للشباب الصاعد ، الأحزاب على قفا من يشيل والجرائد على ودنه والجمعيات أكثر من الشماسى على شاطىء اسكندرية . وبعد هذا وقبل هذا أيضا ، كانت المظاهرات كمركبات الترام ، مظاهرة وراء مظاهرة ، وكانت متعددة الألوان ، أحمر شفتشى يرفع المطرقة والمنجل وبعضها أخضر مسخسخ .يدعو للانفتاح والانبطاح ، وبعضها يرفع راية بنى العباس ، وبعضها يرفع بيرق الإمام الحسن الشاذلى ، وبعضها سكلانس يهتف .. مصر والسودان لنا ، وانجلترا إن أمكنا .

والحق أقول اننى وشلتى كنا نفضل الاندماج فى المظاهرات التى ترفع شعار « إن أمكنا » على أساس أنها مظاهرة قومية لاتفرض القيود على المنضمين إليها كما تفعل المظاهرات الحمراء أو الخضراء أو السوداء ولكن حكومة صدقى باشا التى كانت تحكم مصر تلك الأيام ، كانت حكومة عملية للغاية ، ولذلك كان إيمانها ضعيفا بمسألة انجلترا إن أمكنا . وبناء على موقفها المتخاذل ، هجمت علينا عساكر الشرطة ذات مظاهرة وفقعتنا علقة لاتزال آثارها موجودة على ظهر العبد لله وعلى ظهور باقى الشلة . وكانت هذه العلقة سببا فى البحث عن وسيلة أخرى لنواصل العمل السياسى بعيدا عن الضرب بالشوم وجريد النخل وأيادى المقشات ، وكلها أسلحة مشروعة

فى العمل السياسى أيام زمان . فكرنا فى الانضمام إلى حزب سياسى ، وكان الوفد هو أقرب الأحزاب إلى فكرنا وكان النحاس باشا هو أقرب الزعماء إلى قلوبنا ، ولكننا صرفنا النظر عن الانضمام لحزب الوفد بعد أن ذهبنا إلى لجنة الوفد بالجيزة فلم نجد أحدا فى استقبالنا ولم نجد أحدا نتحدث إليه . والسبب ان الوفد لم يكن حزبا فى الواقع ولكنه كان شعب مصر كله . يجمعه النحاس باشا بإشارة ويصرفه النحاس باشا بإشارة .

ولذلك لم يكن الوفد فى حاجة إلى لجان أو وكلاء أو مندوبين يتحدثون باسمه . وألقينا نظرة على الساحة السياسية فى مصر واخترنا جماعة الاخوان المسلمين للانضمام إليها . كانت الجماعة فى تلك الأيام فى أوج نشاطها وفى عز ازدهارها ، وكان للجماعة فروع فى كل حى وأحيانا فى كل شارع

وكانوا على وفاق مع حكومة صدقى ، وكان صدقى باشا يستخدمهم ضد حزب الوفد ، ولم نكن نحن فى تلك الأيام على بينة بما يجرى تحت السطح ، ولم نكن ندرك على وجه الدقة الفرق بين الوفد والاخوان . أو حتى الفرق بين الاخوان والشيوعيين . كل ماكنا نعرفه فى تلك الأيام هو أن النحاس باشا زعيم شعبى طيب ومحبوب من الجماهير . أما الزعماء الآخرون فلم نكن نعرف عنهم شيئا كثيرا والشيخ حسن البنا مثلا كنا نسمع عنه ولانراه. أما هيكل باشا والنقراشى باشا وحافظ رمضان باشا فقد كانوا بالنسبة لنا أشبه بخفرع وخوفو ومنقرع ولكن الذى شجعنا على الذهاب إلى شعبة الاخوان بالجيزة شىء آخر غير حسن ومكتب الارشاد . كان الاخوان المسلمون قد نجحوا فى تربية مجموعة من الشباب أغلبهم من طلبة الجامعة ، وانطلق هؤلاء يخطبون فى المناسبات وفى الاحتفالات ، ونجح هؤلاء فى لفت أنظار الشباب ، فقد كان اسلوبهم فى الخطابة حماسيا ، ويتناولون موضوعات تثير خيال الشباب وتلهب مشاعرهم . كانوا يتحدثون عن استعادة لواء الاسكندرونة السليب ، والحق أقول اننى أعجبتنى حكاية السليب دى . رغم اننى لم أفهم معناها عند سماعى لها أول مرة ولكنى بالرغم من ذلك شعرت براحة كبيرة ربما للتجانس فى العبارة والهارمونى الذى يجمعها ، لواء الاسكندرونة السليب ! ولم أكن أعرف على

وجه التحديد أين تقع الاسكندرونة ولاهى مشكلتها الحقيقية ، ولكنى صفقت بشدة عندما استمعت إلى الخطيب الشاب يدعونا إلى الزحف المقدس لاسترداد لواء الاسكندرونة السليب . ليس هذا فقط فقد استمعت إلى خطيب شاب آخر فى إحدى المناسبات ، انفعل بشدة وهو يدعونا نحن شباب تلك الأيام إلى تحرير اشبيلية وطليطلة والأندلس . وأعجبتنى الفكرة وتمنيت أن أكون جنديا فى فيالق التحرير لكى أزور الأندلس واستمتع بمغانيها وبساتينها ومفاتنها . المهم أن العبد لله بعد خطبتين من دول خطفت رجلى ومعى الصديق طوغان « رسام الكاريكاتير الشهير الآن » أقول خطفت رجلى إلى شعبة الاخوان فى الجيزة ، وكان الوقت ظهرا ، ورجل يبدو عليه الهدوء والطيبة والسماحة يؤدى صلاة الظهر وحيدا فى المكتب ، يؤديها فى هدوء وعلى المهل ، وانتظرناه حوالى ربع ساعة حتى انتهى من صلاته ، وعندما حاولنا فتح حوار معه ، انهمك فى تلاوة بعض الأدعية فى الوقت الذى كانت أصابعه تعزف على حبات المسبحة لحنا صامتا استمر عدة دقائق ، وعندما حاولنا فتح حوار معه ألقى علينا السلام وصافحنا بحرارة ثم ألقى علينا سؤالا مفاجئا : أنتو أديتم صلاة الظهر ؟ وكذبنا على الرجل الطيب وزعمنا له أننا أدينا الصلاة قبل أن نحضر إليه . وظهر واضحا على وجهه أنه صدقنا ، ثم عرضنا عليه رغبتنا فى الانضمام إلى صفوف الاخوان ، فرد علينا بهدوء قائلا ... على بركة الله ورسوله ! ثم اتجه نحو المكتب بخطوات بطيئة وفتح دفترا كدفاتر البقالين وتناول ريشة غمسها فى دواة ثم استفسر منا عن أسمائنا ، وبعد أن دون سدد إلينا نظرة طويلة . ثم مد يده اليمنى نحونا وقال بنفس النبرة الهادئة .. خمسة صاغ كل واحد .. وضربت لخمة معنا نحن الاثنين فلم يكن فى جيوبنا صنف العملة ، ولم نتصور فى أى لحظة أن التحاق زعيمين مثلنا يحتاج إلى دفع اشتراك ! وأصارحكم الآن أننى تصورت أن مجرد إبداء رغبتى فى دخول حزب سيقابل بالترحاب الشديد . وقد يقرر الحزب الذى اخترته صرف معاش شهرى للعبد لله ! ولذلك كانت دهشتى كبيرة عندما طلب منا هذا المطلب العسير ، وهو عسير لأن الخمسة صاغ أيامها كانت تساوى يومية عاملين من عمال شركة ماتوسيان . المهم أننا اعتذرنا للرجل الطيب بعدم

وجود فكة معنا واستأذناه فى الخروج إلى الشارع لفك ورقة من فئة العشرة جنيهات ! وخرجنا بالفعل ولم نعد إلى هناك لحسن الحظ فى أى وقت .

وأقول لحسن الحظ لأننا لو كنا نملك نقودا فى ذلك الوقت لدفعنا الاشتراك وأصبحنا أعضاء فى الإخوان المسلمين ، ومن يدرى ربما استبد بنا حماس الشباب فى تلك الأيام فدخلنا نحن أيضا فى زمرة الخطباء ودعونا إلى استرداد لواء الاسكندرونة السليب وتحرير أشبيلية وطليطلة والأندلس ، وربما استبد بنا الحماس أكثر فندعو إلى تحرير برشلونة ولابأس من تحرير مرابيا وريال مدريد .ومن يدرى ؟ ربما كنا ضمت الألوف الذين عكموهم بعد مقتل النقراشى باشا، ومن يدرى ؟ ربما كان العبد لله أميراً لمنطقة ديروط فى الوقت الحاضر وطوغان أميراً لمنطقة أسيوط !

المهم أننا هربنا بفضل الله من شعبة الإخوان المسلمين بالجيزة ، وقضينا أسبوعا كاملا لانقترب من شارع عبد المنعم ، حيث يقع مقر الشعبة ، وحتى لايقع علينا نظر الرجل الهادىءالبطىء الوقور الذى طلب من كل واحد منا خمسة صاغ وأجبرنا على أن نتحول إلى فص ملح وداب ! ولقد حاولت بعد ذلك البحث عن هذا الرجل الطيب لكى أشكره وأقبل وجنتيه ، لأنه طلب منا هذا المبلغ الجسيم وقتئذ فأجبرنا على الهروب ، ولكن ماحدث بعد ذلك كان أغرب من الخيال .. فبعد مقتل النقراشى باشا امتلأت السجون بأعضاء الجماعة ، فالقاتل كان منهم ، وكان عضوا بالتنظيم السرى للجماعة،وارتدى بدلة ضابط شرطة ودخل وزارة الداخلية ، ووقف عند الأسانسير حتى جاء النقراشى ، فأخرج مسدسه وأطلق عليه النار وأرداه قتيلا . وكانت حاسة الأمن فى تلك الأيام ليست قوية كما هى الآن . كانت الدنيا طيبة والناس طيبين .. ورجال الشرطة أيضا . وكان من السهل على أى إرهابى أو خلبوص أن يقتحم أى مكان أو يتسلل إلى أى موقع ويعمل عملته المهببة ، وبعد أن امتلأت السجون بالمتهمين والمشتبه فيهم والذين ليس لهم فى الطور ولا فى الطحين ، مر على بيتنا كونستابل ممتاز اسمه عنتر ، كان يسكن بالقرب منا ، وطلب منى الذهاب إلى القسم لأمر هام . ثم مر على منزل طوغان وسحبه هو الآخر . وقطعنا الطريق إلى قسم الشرطة سيرا على الأقدام ، عنتر يسير فى الوسط وطوغان عن يمينه

وأنا عن يساره ، صحبة بريئة لا تلفت الأنظار . ولكن الفار لعب فى عبنا عندما اقتربت القافلة من قسم الشرطة . أمسكنا السيد الكونستابل من مكان تحت القفا بقليل . وعندما نظرنا إليه بدهشة ، قال معتذراً .. معلهش .. علشان البيه المأمور ماياخدش ملاحظة علىّ . ولم يتسع الوقت أمامنا لسؤال عنتر عن علاقة البيه المأمور بالموضوع الذى جئنا من أجله إلى القسم فقد وجدنا أنفسنا فجاة أمام البيه المأمور ، عنتر يضرب تعظيم سلام اهتزت له جدران الحجرة ، وقال عنتر فى لهجة حازمة :

— المطلوبين أهم يافندم .

إذن نحن مطلوبين .. ليه ؟ هذا هو الذى لم نتوصل إليه حتى تلك اللحظة. وقال المأمور وهو يفحصنا بنظرات حادة .. خليهم عندك لما الجماعة ييجوا ياخدوهم ، وخرجنا إلى مكتب عنتر ، وهو مكتب حقير ليس به إلا ترابيزة كانها ترابيزة بقال فى حى شعبى ، وجلس عنتر خلف الترابيزة ووقفنا أمامه فى حالة ضياع وسألنا عنتر عن الحكاية فقال :

فى الحقيقة ماأعرفش ، لكن أنتم مطلوبين فى القسم المخصوص .

ياخبر أسود فى القسم المخصوص ؟! المهم جاء أفندى متين البنيان ، شكله يوحى بأنه مدرس ألعاب رياضية ، عاملنا بلطف واصطحبنا فى سيارة إلى إدارة القسم المخصوص . وأمام ضابط آخر جلس يستجوبنا لمدة نصف ساعة ، فتح دفترا وأطلعنا عليه كان اسم طوغان مكتوبا على سطر وسنه وعنوان سكنه، وفى السطر الثانى اسم العبد لله وسنى وعنوانى ، ثم قلم حبر مر على السطور فشطب على الأسماء وعلى المعلومات ، ولكنه شطب يسمح بقراءة كل شىء ..

سألنا الضابط هل أنتم أعضاء بالجماعة ؟ فجاءه الجواب بالنفى .

عاد يسألنا .. طيب كيف وصلت أسماؤكم إلى هذا الدفتر؟! سؤال وجيه أجبناه عليه بمنتهى الصراحة ، وحكينا له قصة الخمسة قروش التى اضطرتنا إلى الهروب من مقر الشعبة ، وضحك الضابط ضحكة طويلة ، وقال حظكم حلو وعلى العموم معلوماتنا عنكم إنكم شبان كويسين ،

تلعبون الكورة أحيانا والطاولة أحيانا ، كما أنكم مشاغبون ، ولكنكم مواطنون صالحون !! واستدعاؤكم إلى هنا كان ضروريا لكى نستوثق منكم عن سر وجود أسمائكم فى هذا الدفتر .

وخرجت من مكتب الضابط وأنا اشكر الله على الفقر والسلامة . لو كان مع العبد لله خمسة قروش ، فربما قضيت خمس سنوات وراء الشمس ، وشكرت الله على النجاة وقلت .. وداعا أيها اللواء السليب ، ووداعا للأندلس وطليطلة وأشبيلية وريال مدريد .

ولكن .. هل نكف عن الاشتغال بالسياسة ؟ بالطبع لا . لقد ذهبنا نبحث عن الشيوعيين .. ولكن هذه قصة أخرى !







تنظيم مشمش

فى الطريق إلى الكرملين لم تصادفنا أية عقبات كتلك التى صادفتنا فى شعبة الإخوان المسلمين، وكان للعبدلله صلة بأعضاء التنظيمات الشيوعية فقد كانت جلستهم المفضلة على رصيف قهوة إيزافتش بميدان التحرير . وكان النشاط الشيوعى قد امتد إلى مساحات شاسعة فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية بعد أن أصبحت روسيا رفيقة سلاح لأمريكا وبريطانيا وفرنسا ضد هتلر وموسيلينى ، وكان أغلب زعماء الحركة الشيوعية من اليهود الفرنسيين والطلاينة ، وتمكنوا فى تلك الفترة من تجنيد مئات من طلبة الجامعة وعمال النسيج فى شبرا الخيمة ، وأطقم كاملة من الصولات داخل صفوف القوات المسلحة ونجحت الحركة المصرية (حدتوفيما بعد) فى تجنيد عشرات من شباب الفنانين والكتاب.

وكانت قهوة إيزافتش تحتل موقعا استراتيجيا وسط ميدان التحرير ، ويملكها مهاجر يوغسلافى فر من بلاده بعد انفراد تيتو بالسلطة ، والسبب أنه كان مسلما من البوسنة ووالده كان من رجال الدين واستطاع المهاجر اليوغسلافى بالتعاون مع شقيقه أن يجعل من قهوة إيزافتش أشهر قهوة فى

مصر منذ عام ١٩٤٢ وإلى عام ١٩٧٢ ،عندما اضطر المهاجر اليوغسلافى إلى بيعها وهاجر إلى استراليا وكانت القهوة مكانا مختاراً للمحامين وكبار الموظفين وأعيان الريف ، الذين كانوا يترددون على وزارات الحكومة ومصالحها فى حى لاظوغلى ، فإذا حل المساء ازدحمت القهوة بالفنانين والمفكرين والمثقفين من كل لون. كان المهندس العالمى العبقرى حسن فتحى يتردد عليها ، والدكتور صبرى السوربونى ، وأبو بكر سيف النصر ، الذى كان يشبه الملك فاروق كثيرا ، وكانت عساكر البوليس فى ميدان الإسماعيلية (التحرير) يضربون له تعظيم سلام كلما جاء إلى القهوة على أساس أنه الملك فاروق فى جولة ليلية لمعرفة أحوال الرعية .

وكان يأتى إليها أيضا أحمد رشدى صالح الكاتب والأديب وأستاذ الفن الشعبى ، كما كان يأتى إليها مجموعة من أشبال ذلك الزمان ، من بينهم محمد عودة ولطفى الخولى وصلاح حافظ وكان الجميع يتخذون لهم أماكن داخل القهوة الواسعة ماعدا مجموعة الشيوعيين ، أو هكذا كانت فكرة العبدلله عنهم فكانوا يحتلون رصيف القهوة فى صف واحد وكأنهم فى مسرح . وكانوا يطلقون شواربهم على طريقة الرفيق ستالين ، والبعض منهم يطلقون ذقونهم على طريقة الرفيق لينين ويجلسون صامتين طول الوقت يحدقون فى اللاشىء فإذا مرت أنثى أمامهم تعقبوها بنظراتهم وأداروا رؤوسهم من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين فاذا اختفت عن الأنظار أو غابت فى الظلام عادوا إلى وضعهم الأصلى فى انتظار أنثى جديدة.

وكانوا نادرا ما يتكلمون فاذا طلبوا شيئا من الجرسون طلبوه بالإشار، وكان بينهم وبين الجرسون التركى (على) شفرة خاصة متفق عليها فإذا أشاروا إليه بالسبابة فالمقصود قهوة سادة فإذا أشاروا إليه بالسبابة والوسطى فالمطلوب عيش سرايا وعندما تناولت مقعدا وضعته بجانبهم على الرصيف سددوا إلىّ نظرات نارية وكأننى ارتكبت جناية ، ثم لزموا الصمت طول الليل فلم يهمس أحدهم بكلمة ، ويبدو أنهم تصوروا أننى مخبر فى المباحث ويبدو أن هذا الشك تأكد لديهم فى اليوم التالى .

عندما حضرت للمرة الثانية وجلست معهم على نفس الخط ولم أكن وحدى فى تلك المرة ، ولكن كان معى الفنان طوغان ومن حسن الحظ أن

أحدهم وقد جاء متأخرا كان يعرف طوغان فصافحه بحرارة وبحكم الصحبة صافحنى أنا الآخر ، وعندما اتجه نحوهم ليتخذ مكانا بينهم التفوا حوله ودار بينهم همس طويل ، ثم التفتوا نحونا وحيونا بهز رؤوسهم ، وكان هذا أول الغيث .

وفى الليلة التالية انفتح بيننا وبينهم بربخ كلام لم ينقطع طول الليل . كان الموضوع الذى يدور حوله الحديث مقالاً للدكتور محمد مندور ، وأكذب عليكم لو قلت لكم إننى فهمت حرفا واحدا مما دار. ولأول مرة فى حياتى أستمع إلى كلمة الاستاتيك والديناميك والاستغلاق والاستبطان والشواشى العليا للبورجوازية وطبقة الكولاك والتناقض الرئيسى والتناقض الثانوى .

والحق أقول إن الرطانة التى كان يتكلمها أفراد هذا التنظيم أصابتنى بعقدة فترة غير قصيرة من الزمان فقد تصور العبدلله أن هذه اللغة هى التى يجب أن يتكلم بها المثقفون وانتابنى يأس شديد فى أن أصبح مثقفا يوما ما فإجادة هذه اللغة تحتاج إلى وقت طويل .وعندما صارحت محمد عودة بهذا الإحساس الذى انتابنى ، استنكر ضعفى وقلة حيلتى ووصف هؤلاء الذين يستخدمون هذه الرطانة بالجهلاء ، وقال إنهم بعيدون كل البعد عن الشعب المصرى ولايتكلمون لغته ، وأنهم يشبهون جرسونات الفنادق الكبرى ، يرتدون الاسموكن أثناء العمل ويرتدون الجلابية الكستور فى البيت . وذات مساء دار نقاش حاد بين طوغان من ناحية وبين تنظيم ايزافتش من ناحية أخرى بدأ النقاش حول الموسيقى الكلاسيك .. موسيقى بتهوفن وباخ وموزارت ورمسكى كورساكوف وعاب أحدهم على إذاعة القاهرة عدم اهتمامها بهذا النوع من الفن الرفيع ، ونجح العبدلله فى التسلل إلى المناقشة عندما قلت لهم إن سكان حارة أبو الليف فى الجيزة سيغلقون الراديو عند إذاعة موسيقى كورساكوف لأنهم سيتصورون أن كورساكوف هو نوع من أنواع السجاير .

امتعض بعضهم من التعليق ، ومط بعضهم شفتيه احتقارا ، وانتقل النقاش بسرعة إلى جهل الشعب الذى مهد الطريق للسلطة لكى تسوقه فى الاتجاه الذى تريده . فالشعب يحب أم كلثوم مع أنها فى الحقيقة عميلة

للرأسمالية والإقطاع والشواشى العليا للبورجوازية واغانيها هى أفيون الشعب الذى يخدره ويفقده الإحساس بمشكلاته ، وعبد الوهاب يحبه الشعب والسلطة تفرضه على المساحة الأكبر من وقت الإذاعة ، لكى يتلهى الشعب عن واقعه المر ويسبح مع عبد الوهاب فى الليل والنجوم طالعة تنورها مع أن الشعب لو نال حقه من الثقافة الحقة لوضع عبد الوهاب فى خانة أعدائه ، فهو فى الحقيقة مطرب الملوك والأمراء وبينه وبين الشعب «بيد بينها بيد» على رأى الشاعر المتنبى .

عند هذه النقطة من النقاش غلب الطبع على التطبع ، فانهلت بالشتائم على رأس أعضاء التنظيم الماركسى الذى كنت أتصور حتى تلك اللحظة أنه الحزب الشيوعى المصرى . وكانت الشتائم من النوع المقتبس بعناية من خناقات حارة الطشطوشى تناولت الآباء والأجداد . وانتهت الجلسة بأن هبوا واقفين فجأة وانصرفوا بربطة المعلم وتوغلوا فى الميدان دون أن يدفعوا الحساب ، مما دفع الجرسون «على» إلى الجرى وراءهم ولم يعد إلا بعد أن قبض ثمن ماتناولوه من أطعمة ومشروبات. فى الليلة التالية جاءوا متأخرين بعض الوقت ، وعندما شاهدونا فى أماكنا على الرصيف ابتعدوا عنا قليلا وجلسوا صامتين ، ثم علمت بعد ذلك أنهم اتهمونا بأننا بوليس .
وفكرت أنا وطوغان بعد أن وصلنا نبأ هذا الاتهام فى الاستعانة بشلة الجيزة لضربهم علقة ساخنة ، ولكن محمد عودة نهانا عن ذلك وقال فى لهجة ساخرة .. شغل الجيزة ده ماينفعش هنا . قلت لمحمد عودة : لقد اتهمونا بأننا بوليس وهى تهمة فى وزن الشرف الرفيع الذى لايسلم من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم .

وشرح محمد عودة للعبدش ماغمض علينا . فهؤلاء هم أعضاء تنظيم شيوعى يدعى (مشمش) وهؤلاء الذين يجلسون على رصيف إيزافتش هم كل أعضاء التنظيم ولديهم تحليل لاينزل الأرض ولايخر المية، تحليل يقول: إن تنظيمهم هو التنظيم الوحيد الذى يحاول بشرف إعادة صياغة الحياة فى مصر وعلى النحوالصحيح وعلى ذلك فكل من ليس عضوا بالتنظيم فهو بوليس ، ولذلك فقد قاطعوا الجميع حتى أعضاء التنظيمات الشيوعية

الأخرى ، لأن الجميع يتحالفون مع البوليس لضرب التنظيم الوحيد الذى سيقود المسيرة إلى الوضع الأفضل والأمثل !
شىء واحد فقط استفدناه من مشمش ، أصحاب الشوارب الاستالينية والصلعات اللينينية ، أثناء النقاش حول الفن والأغانى تردد اسم سيد درويش أكثر من مرة ، ووصفوه بالمعلم والرائد والقائد أيضا ، وكان للعبدش رأى مخالف فى سيد درويش، فقد كانت الإذاعة المصرية تذيع برنامجا أسبوعيا عن فن سيد درويش ، وكان يقوم بتقديم البرنامج الفنان محمد البحر الذى هو فى الوقت نفسه ابن الفنان سيد درويش ولكن لأن الفرق بين الابن محمد البحر والأب سيد درويش كان مثل الفرق بين الأرض والسماء ، فقد جاء البرنامج فى غير صالح سيد درويش ، خصوصا بالنسبة لجيل العبدش الذى لم يعاصر سيد درويش ولم يستمع إليه فى حياته ، ولذلك رحت أتلمس الطرق نحو سيد درويش وفنه الحقيقى .
وكان مدخلى إليه ثلاثة من فحول الفنانين ، على رأسهم زكريا أحمد وزكريا الحجاوى ومحمود الشريف ، ومن خلال هؤلاء الفنانين الثلاثة تعرفت على سيد درويش .. وتشرفت .. وكانت هذه هى الحسنة الوحيدة التى أسداها إلينا تنظيم مشمش ، الذى انتهى أغلب أفراده نهاية غريبة بعضهم اشترك فى أكبر عملية اختلاس شهدتها مصر ، وبالمبالغ التى تم اختلاسها أنتجوا فيلما للممثلة كاميليا ، وانتهى الأمر بهذا البعض إلى الحياة خلف الأسوار سنوات طويلة ، وأحدهم وكان يدعى الدكتور كركور قام فى بداية حياته بمحاصرة قصر الأمير محمد على بالمنيل ، وأنزل العلم المصرى من فوقه ورفع بدلا منه بطانية صوف من النوع الذى كان يستعمله الجيش البريطانى ، ثم أنهى حياته بالحصول على الدكتوراه من جامعة ألمانية ، أما رسالته فكانت عن فرع من فروع العلم لايعرفه العبدش وأعتقد أن الدكتور نفسه لايعرفه أيضا ثم ألقى القبض عليه فى عام ١٩٧٢ بتهمة النصب على بعض الأثرياء العرب ، فقد حصل منهم على مبالغ جسيمة بدعوى أنه مندوب إحدى الشركات الألمانية المعروفة .
وهكذا ضاع تنظيم مشمش فى الكازوزة وكنسه التاريخ فى ترابه .
التنظيم الذى قاطع أم كلثوم وعبد الوهاب والشيخ محمد رفعت وخاصم

الشعب المصرى كله واتهمه بـأنه بـوليس ، وعـاش فى شرنقته يجتر جهلـه وغبـاءه ويتصرف كما وصفه محمـد عودة كجرسـونات الفنـادق يرتـدى السمـوكن فى الشغل والجلابيـة الكستـور فى البيت، وانتهت أيضـا قهـوة إيزافتـش التى أسسها مهـاجر يـوغسلافى اشترك فى الحرب الشعبيـة ضد النـازى ثم فـر من تيتو ومـن بلاده ولجأ إلى مصر ، ولكن تيتـو لم يتركـه ، وكان البوليس المصرى يقبض على الشقيقين اليوغسلافيين كلما حضر تيتو إلى القاهرة ولايفرج عنهما إلا بعد أن تصبح طائرة تيتو فى الجو .

ولكن .. هل تـوقف محاولتنـا عن الاشتغال بـالعمل السيـاسى فى تلك الفترة المبكرة من الشباب بالطبع لا فقد كـانت لنا أحلام وتطلعات .. ولذلك عدنا نبحث من جديد عن مكان لنا تحت الشمس بعد أن أقنعنى طوغان بأن مصر على أبواب مـرحلة جديدة من النضـال ، وكان الزمن قـد زحف بنا إلى عـام ١٩٤٩ . وتلفتنا حـولنـا نبحث عن مكـان نلجأ إليـه بعد أن فشلنـا فى الوصول إلى مكتب الإرشاد ، ثم فشلنا مـرة أخرى فى الوصول إلى الكرملين ، ولم نجد أمامنا إلا حزباً جديداً بزعامة على ماهر با   شا ، وذهبنا بالفعل لمقابلة الباشا ، ولكن ماحدث هناك كان أغرب من الخيال .







حزب تايه.. يا اولاد الحلال

أصبحنا فجاة أعضاء فى اللجنة المركزية لحزب جبهة مصر الذى يقوده صاحب المقام الرفيع على باشا ماهر .أما كيف قفزنا مرة واحدة من زبائن على رصيف قهوة إيزافتش إلى اللجنة المركزية لحزب رفعة الباشا ، فقد تم الأمر ببساطة وبهدوء وطبقا للمثل الشائع : تجرى جرى الوحوش وغير رزقك ماتحوش .. وإذا كانت الخمسة قروش قد منعتنا من الوصول إلى مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين ، كما منعتنا لغة الحنجورى التى كان يتحدث بها تنظيم مشمش من الوصول إلى الكرملين ، فقد وصلنا مباشرة إلى اللجنة المركزية لحزب جبهة مصر بسبب نيتنا الطيبة ودعاء الوالدين ، وقد حدث الأمر دون إعداد أو تمهيد ، التقينا بالصدفة بشارع سليمان باشا (طلعت حرب الآن) طوغان وأنا بصحفى كبير كان يعمل فى دار الهلال ، وبعد السلام والكلام ، قال لنا الصحفى الكبير :

— انتوا وراكوا إيه بكرة ؟

ولما لم يكن ورانا أى شىء بكرة أو بعد بكرة ، فقد دعانا لحضور اجتماع اللجنة المركزية لحزب جبهة مصر ، الذى سيعلن رفعة الباشا

شخصيا عن قيامه فى اجتماع الغد ، وعندما استفسرنا من الصحفى الكبير عن كيفية حضورنا اجتماع اللجنة المركزية فى الوقت الذى لم نلتحق فيه بالحزب بعد ، رد الصحفى على الفور :

— ستحضرون اجتماع اللجنة المركزية باعتباركم ممثلين عن شباب الحزب !

قال ذلك وانصرف دون أن يوضح لنا الطريقة التى تم بها اختيارنا ممثلين لشباب الحزب

ولم ينس الصحفى الكبير أن يكتب لنا العنوان الذى ستجتمع فيه اللجنة المركزية بقيادة رفعة الباشا ، المهم أننى عشت الوقت الفاصل بين التقائنا بالصحفى إياه وموعد الاجتماع فى حلم اللجنة المركزية ، وبالطبع عندما يؤلف صاحب المقام الرفيع حزبا «لخوض الانتخابات القادمة» وعندما يختار رفعة الباشا طوغان وأنا ممثلين للشباب فى اللجنة المركزية ، فلابد أن رفعة الباشا قد أحسن الاختيار ، ولابد أن فى الجعبة وزارة أو مصلحة أو هيئة أو أى شىء من هذا القبيل يضمن لنا المكتب والسكرتيرة والعربية والسواق .

وسرح خيال العبدلله بعيدا ، ففكرت فى التصريحات التى سأدلى بها للصحف عقب اجتماع اللجنة المركزية ،لأن رفعة الباشا بالتأكيد سيختار العبدلله متحدثا رسميا عن اللجنة المركزية لعدة أسباب ، منها أننى أمثل الشباب فى اللجنة المركزية والشباب هو المستقبل . ومنها أيضا أننى متحدث عام ، على وزن نائب عام ومدير عام ومراقب عام وأنا أتحدث عادة فى الفاضى وفى المليان ، وأتحدث بلا انقطاع وأستطيع أن أتحدث وأنا جالس وأتحدث وأنا واقف وأتحدث وأنا نائم وأتحدث وأنا أتحدث ! وسيكون أول حديث للعبدلله لمندوبى الصحف بمثابة قنبلة تحدث دويا فى كل الأوساط.

سأؤكد للجميع أن حزبنا هو حزب المستقبل وأن برنامجه هو الكفيل بحل مشاكل مصر من الألف إلى الياء ، وعندما نتولى السلطة بإذن واحد أحد ، فسنعمل بكل طاقاتنا ليكون لكل مواطن منزل وسط حديقة غناء ، وسيارة مع صرف بونات بنزين مجانية أول كل شهر مع المرتب ، وسنوفر عملا لكل عاطل ، وملجأ لكل متشرد ، وزنزانة لكل مسجون ، ورطل لحم

لكل جائع ، ومرضعة لكل طفل وعريسا لكل عانس ، وطقم أسنان لكل أهتم عديم الأنياب والأضراس ! ولاشك أن حديثى سيكون له وقع السحر فى المعركة الانتخابية وسيحملنا الناخبون على الاكتاف إلى مكاتب الحكومة فى لاظوغلى .

وعندما جاء موعد اجتماع اللجنة المركزية ارتديت الحتة الزفرة ، وقمت بتلميع الجزمة بعلبة ورنيش كاملة ، وحرصت على أن أضع فى جيب الجاكتة العلوى منديلا أبيض على شكل الأهرامات ، وأشتريت علبة سجاير عشرين ، ماركة واسب ، ومعها مشط كبريت شغل بره .وخرجت فى الصباح الباكر إلى بيت طوغان ، ومن هناك زحفنا إلى ميدان الجيزة وركبنا الترام درجة أولى ودفع كل منا ثلاثة تعريفة كاملة ، مع أنه فى الماضى وقبل أن نصبح أعضاء فى اللجنة المركزية كنا نركب درجة ثانية بستة مليمات ، وفى أحيان كثيرة ولدواع أمنية كنا نتشعبط على السلم ونقفز من ترام إلى ترام.

ونزلنا فى ميدان الإسماعيلية (التحرير الآن) وتوغلنا فى شارع سليمان باشا ، كان منظر الشارع هذة المرة يختلف عن منظره فى المرات السابقة ، ولفت نظر العبدلله وجود بعض الباعة السريحة على رصيف الشارع .. البعض يبيع فاكهة المانجو والبعض سارح بأمشاط .. وقررت أن أضيف إلى برنامج الحزب العمل عل إخلاء الشوارع الرئيسية من جميع الباعة السريحة ، وإلحاقهم بوظائف حكومية بمرتبات مجزية تضمن لهم العيش الكريم وسنضمن تأييد أصحاب المحلات لحزبنا ، وكذلك تأييد السادة المثقفين والأثرياء والصياع ، الذين يقطعون شارع سليمان باشا أثناء النهار ، وعندما وصلنا إلى مكان الاجتماع وجدنا الصحفى إياه واقفا عند الباب ، استقبلنا بشوق شديد ، ثم قادنا بسرعة إلى الداخل قائلا لنا فى لهجة احتجاج :

— انتو اتأخرتوا ليه ؟ دا رفعة الباشا منتظركم .

انتفخت أوداجنا وانتعشت آمالنا ونحن ننقل خطواتنا وراءه ، نخرج من دهليز إلى دهليز آخر ،حتى انتهى بنا إلى صالة فسيحة . كان رفعة الباشا يجلس فى صدر المكان ، وعن يمينه واحد باشا آخر من أقربائه . وعن يساره رجل آخر يبدو عليه أنه باشا ، فقد كانت ملابسه توحى بذلك ، وكما توقعنا

هب الباشا والبشوات الآخرون وقوفا وصافحونا بحرارة ، وانتفخت أوداجي أكثر ، فكل أحلامى ستتحقق وعلى الفور ، ولكن قلبى غاص فى ركبتى عندما أخطأ الباشا فى نطق أسمائنا ، فنادى طوغان بطوقان ، ونادى العبدلله بالسعداوى ، ولكن طوغان طمأننى ونحن نسير خلف الباشا إلى مكان الاجتماع بأن طبقة البشوات لها لهجة خاصة تختلف عن لهجتنا نحن أبناء الناس اللى مش بشوات ، واقتحم الباشا مكان الاجتماع ، ولم يكن هناك سوى عشرين شخصا ، أغلب الظن أنهم مثلنا جاءوا صدفة وبلا ميعاد .

وجلسنا أنا وطوغان فى الصف الأول بعد أن انتهت عاصفة التصفيق ، ووقف الباشا خطيبا ، فهنأ مصر بحزبها الجديد ، وهنأ الشعب المصرى بقيادته الواعية التى ستقوده على طريق الخلاص إلى الغد السعيد ، وقال رفعة الباشا وهو يضرب المنضدة بقبضة يده ، ثم وهو يشير نحونا : لقد تعاهدت مع هؤلاء الرجال الشرفاء على أن نخوض المعركة مهما تكن الصعاب والعقبات ، وسنخوض المعركة بإذن الله ونحن نضع رؤوسنا على أكفنا مضحين بكل غال ورخيص وحتى بأرواحنا ، حتى يتحقق للوطن مايصبو إليه من عز وسؤدد .

ألقيت خلفى نظرة لأرى الرجال الذين تعاهدوا مع رفعة الباشا ، فهو بالقطع لايقصدنا أنا وطوغان ، ولكنى رأيت الصفوف الخلفية تنظر خلفها أيضا ، فهم بالقطع مثلنا لم يلتقوا بالباشا إلا هذه اللحظة ولم يعاهدوه على أى شىء !! المهم أن الخطبة انتهت وسط عاصفة من التصفيق ، بينما عدسات المصورين تلتقط صورا للباشا وهو يلوح للجماهير ، ثم انشغل المصورون بتصوير اللجنة المركزية ، وانشغلت أنا الآخر بالمصورين ففشخت بقى عن ابتسامة عريضة ، وتحفزت للإدلاء بالتصريحات التى ستنفجر كالقنبلة فى المحافل السياسية ، ولكن المصورين ومندوبى الصحف انطلقوا خلف الباشا ، وعندما انطلقت به السيارة تفرقوا وذهب كل منهم فى اتجاه ، وقلت لطوغان ونحن عائدان إلى الجيزة مشيا على الأقدام :

- أنت ماخدتش بالك .. الباشا ماسلمش علينا وهو ماشى .. وقال طوغان :

— مش مشكلة دى .. إحنا نتصل بيه بالتليفون بكرة .

— وتليفونه عندك ؟

— نجيبه من الصحفى بتاع دار الهلال

وقضيت الليل أفكر فى مستقبلى السياسى ، سنتصل برفعة الباشا غدا ونحدد موعدا للاجتماع به لنخطط معا لمستقبل الحزب ، والباشا بالطبع مشغول بأشياء كثيرة ولذلك سيترك لنا أمر الحزب نتصرف فيه كما نريد ، وليس على الباشا إلا حضور الاجتماعات وإلقاء الخطب فى الاجتماعات الشعبية ، وفى الصباح جلسنا بجوار التليفون فى قهوة محمد عبدالله نتصل بالصحفى إياه ،ولكنه لم يكن موجودا فى كل مرة نسأل عنه وقال طوغان :

- طبيعى لازم يرتاح بعد المجهود اللى عمله فى اللجنة المركزية .

واقترحت على طوغان أن يستفسر من الدليل عن رقم تليفون الباشا ، فلابد أن لديه تليفونا للاتصال بجماهير الحزب التى عاهدته على السير وراءه حتى الموت من أجل تحقيق مصالح الوطن . ولكن موظف التليفونات ضحك من الأعماق على سذاجتنا ، لأن تليفونات الباشا لايعلمها إلا علام الغيوب والباشا ، وتكررت محاولة الاتصال بالصحفى الذى قام بدور مقاول الأنفار لحزب الباشا ، ولكن جميع محاولاتنا للاتصال به باءت بالفشل . فقررنا أن نذهب إليه فى عقر مكتبه .

وفى اليوم الرابع قمنا بهجوم خاطف عليه ، وفوجىء بنا ونحن ندخل عليه مكتبه ، وأبدى دهشته الشديدة لأننا نريد مقابلة الباشا ، وأخبرنا أن الباشا سافر إلى الاسكندرية للاستجمام بعد المجهود الرهيب الذى بذله فى تكوين الحزب ، وأن الأطباء نصحوه بالتزام الراحة وحرموه من تناول أى أطعمة إلا كوب عصير فى الصباح وصدر فرخة فى المساء ، وأكد أن الباشا سيعقد اجتماعا معنا بعد شفائه لتنظيم كل الأمور المتعلقة بالحزب ، ثم ضحك ضحكة صافية وقال :

— على فكرة .. الباشا بيكلمنى النهارده فى التليفون وبيسلم عليكم ومبسوط منكم قوى !

وبالرغم من كل شىء صدقنا الأستاذ الصحفى وانبسطنا جدا لأن رفعة الباشا يسأل عنا ، وانتهزنا الفرصة فسألناه عن رقم تليفون الباشا ، ولكنه أكد لنا أنه لايعرف رقم تليفون الباشا لسبب بسيط هو أن الباشا

لايعطى رقم تليفونه لأحد ، ولكن الباشا يتصل بالذين يريد أن يتصل بهم ، ثم قال :

- وانتو كمان بعد ماتقعدوا مع الباشا إن شاء الله هيتصل بيكم .

والغريب أننا شعرنا بالراحة لأن رفعة الباشا سيتصل بنا فى المستقبل ، ولم تكلف أنفسنا عناء الاستفسار عن كيفية اتصال الباشا بنا ، لأننا لم نكن نملك تليفونا ، ولم يكن هناك احتمال أن يكون لدينا تليفون فى المستقبل القريب .

على العموم .. الباشا سيتصل بنا .. وودعنا الصحفى وانصرفنا ..

حدث هذا فى عام ١٩٤٩ وجرت الانتخابات وانتهت ، وجاء الوفد واحترقت القاهرة وقامت الثورة وجاء محمد نجيب ومضى وجاء عبد الناصر وذهب إلى رحاب الله ، وجاء أنور السادات وذهب إلى حال سبيله . ثم جاء حسنى مبارك ، واجتاح الأشاوس أرض الكويت ، ثم نشبت أم المعارك ، ثم لقيت حتفها وهى فى عز الشباب ، وحتى كتابة هذه السطور ، لم يظهر لحزب نهضة مصر أى أثر ، ولم يتصل بنا الباشا ،ولم نتصل نحن بالباشا ومع ذلك سيذكر التاريخ السياسى أن العبدلله كان عضو اللجنة المركزية لحزب رفعة الباشا ، الذى سيتسلق الجبال والحبال لكى يحقق لمصر النصر والسؤدد !!







البرنامج الخنفشارى

قررنا ، طوغان وأنا ، أن نختصر طريق المجد وأن نصنع المجد بأيدينا لابيد عمرو أو زيد . قررنا إصدار جريدة نعرض فيها برنامجنا على الأمة وننتظر رأيها فى الانتخابات التى سنفوز بها بلاشك . ولكن طموحنا لم يكن بقدر إمكانياتنا . فإصدار جريدة فى ذلك الوقت كان يتكلف مائة ألف جنيه على الأقل ، ولما كنا لانملك أكثر من عشرة جنيهات ، فقد اكتفينا باستئجار رخصة مجلة أسبوعية ، وقررنا إصدارها مرتين فى الشهر ، واستعنا بالصديق على كامل ، فصار مديراً للتحرير ، وكتب العبدلله مقالا سياسيا وقصة قصيرة ، وتولى طوغان جميع الرسوم الكاريكاتورية ولوحات (وموتيفات) شخصيات سياسية ودينية وفنية ورياضية . وصدر العدد الأول بعد أن طبعناه فى مطبعة بدائية اشتركنا نحن الثلاثة ، على كامل وطوغان وأنا ، فى إدارتها يدويا .

وعندما صدر العدد الأول ، لم يكن فى العدد أكثر من عشر صفحات مكتوبة ، بينما الصفحات الأخرى بيضاء من غير سوء ، لأن الرقابة شطبت جميع المواد التى كنا فى طريقنا إلى نشرها على الشعب المصرى لكى يقتنع

برنامجنا السياسى الخطير و يحملنا على الأعناق فى الانتخابات النيابية القادمة ، ويقتحم بنا قصر رئاسة الوزارة فى لاظوغلى لنصبح حكومة تحكم الشعب بالشعب للشعب ! وأذكر اننا نحن الثلاثة خرجنا نطوف بالأسواق نسأل باعة الجرائد عن أرقام توزيع جريدتنا .

وجاءتنا الأنباء مطمئنة ومشجعة ، أحدهم قال انه باع مائة نسخة ، وآخر أكد أنه باع أربعمائة نسخة وثالث أكد لنا أنه باع كل النسخ التى وصلته ولم يحدد عددها ، ولكنه طلب منا أن نضاعف له الكمية فى الأعداد القادمة . وقمنا بإجراء عملية حسابية بسيطة بناء على ماصرح به الباعة الذين توجهنا إليهم بالسؤال ، وخرجنا منها بنتيجة وهى أن كل النسخ التى نزلت السوق تم بيعها عن آخرها .

كنا قد طبعنا ثلاثة آلاف نسخة من مجلة الأسبوع ، أخذنا منها مائتى نسخة لزوم السادة المسئولين عن المجلة من أمثالنا ولارسال بعض النسخ إلى زملائنا من المحررين الكبار أمثال مصطفى أمين ومحمود أبو الفتح وشكرى زيدان والسيدة روز اليوسف !! وأمسكنا بورقة وقلم ورحنا نحسب على وجه الدقة المبلغ الذى سيدخل جيوبنا من حصيلة توزيع مجلة الأسبوع . فلو افترضنا أن الكمية المبيعة هى ألفان وثمانمائة نسخة ، وتباع النسخة بقرشي صاغ ، فمعنى ذلك أن حصيلة البيع ستة وخمسون جنيها تأخذ شركة التوزيع منها الثلث .. أى ثمانية عشر جنيها وعدة قروش فيتبقى لنا سبعة وثلاثون جنيها وعدة قروش ، كان فى ذمتنا لتاجر الورق ثمانية عشر جنيها ، وللمطبعة عشرة جنيهات ، وكان فى المجلة ثلاثة إعلانات تغطى حصيلتها كل الديون ويتبقى لدينا ماننفقه فى الجلسات التاريخية التى سنعقدها فى مطاعم شارع الألفى وفى مقاهى شارع عرابى ، كان الإعلان الأول عن كينا لاييس ، وهو مشروب يقول عنه أصحابه انه يمنح شاربه الصحة والقوة ، والشعور بالشباب يتدفق فى عروقه حتى ولوكان فى سن السبعين ، وكان صاحب كينالاييس شابا يونانيا يدعى لوانيدا .

وعندما التقينا به وشرحنا له الهدف من إصدار المجلة وهو الوصول إلى السلطة لكى نحقق برنامجنا الذى سيحل مشاكل الشعب المصرى قرر على

الفور نشر إعلان فى كل عدد من المجلة على الغلاف الخلفى بمبلغ عشرة جنيهات كاملة . أما الإعلان الثانى فقد كان من مصمم أزياء مصرى ، وقد ذكر فى إعلانه أنه المصمم المصرى الوحيد الذى نال الجائزة الأولى فى المهرجانات العالمية . ولم نسأله طبعا عن شكل هذه الجائزة الأولى أو عن طبيعتها ، كما لم نسأله عن هذه المهرجانات العالمية التى حصل فيها على الجائزة الأولى ولاعن المكان الذى انعقدت فيه . أما الإعلان الثالث فكان عن أسماك الحرية إدارة الحاج محمد هريدى وشركاه .

والحقيقة أن منظر الدكان كان لايسمح بوجود أى شركاء للحاج محمد هريدى ، ثم علمنا بعد أن توطدت الصلة بيننا وبينه أن زوجته هى شركاه ! أما مصمم الأزياء العالمى فقد دفع خمسة جنيهات نظير صفحة فى الداخل ، أما الحاج محمد هريدى وشركاه فلم يدفع شيئا ، بعد أن نشر ثلاثة إعلانات فى صفحات متفرقة ، كل إعلان على ربع صفحة ، ولكننا أخذنا بحقنا أسماكا وسلطات وخبزا ، فقد تناولنا طعام الغداء عند الحاج محمد هريدى ، وكنا أربعة بعد أن انضم إلينا صاحب المطبعة الذى قام بطبع العدد الأول .

المهم أن شركة التوزيع أرسلت إلينا كشف توزيع العدد الأول . لم تكن شركات التوزيع فى ذلك الزمان على النحو الذى عليه شركات التوزيع الآن ، ولكن شركة التوزيع كانت مجرد حجرة بسيطة ، وصاحب الشركة (معلم) يرتدى اللاسة والجلباب البلدى والحذاء أبو رقبة الذى يصدر أنغاما موسيقية أثناء السير به . جاءنا المعلم رئيس شركة التوزيع وأخبرنا بنبأ جعل شعرنا الأسود يشيب ، الخبر الذى حمله إلينا رئيس شركة التوزيع .. أن أعداد المجلة المرتجعة ، بلغت ثلاثة آلاف وخمسمائة عدد ، كيف يامعلم ؟ هذا هو الذى حدث نحن لم نطبع من المجلة إلا ثلاثة آلاف نسخة ، وسلمنا شركة التوزيع ألفين وثمانمائة نسخة ولكنها عادت إلينا ثلاثة آلاف وخمسمائة نسخة ، فكيف وصلت هذه السبعمائة نسخة التى أضيفت إلى المرجوع ؟

المهم أن هذه النتيجة السيئة لم تفت من عضدنا ولم تمنعنا من المضى إلى نهاية الطريق فقررنا إصدار العدد الثانى ، وقد صدر بعد ظهور العدد الأول ، بخمسة وعشرين يوما ، وكان مصير العدد الثانى كالعدد الأول ، مع

اختـلاف بسيط هـو أن المعلم رئيس شركـة التـوزيع رفض أن يعيـد إلينـا الأعـداد المرتجعـة وقـام ببيعهـا بـالأقـة لبعض محلات بيع اللب والفـول السوداني ، وقـال فى تبرير هـذا العمل انه باع الكميـة ليأخذ عـرقه .. بفتح العين والراء ، ولم يفصـح لنا عن حجم الأعـداد المبيعة والأعـداد المرتجعة ، واكتفى بقوله عندما سألناه : أهو بخيتة زى بخيت !

العدد الثالث من مجلة الأسبوع كان نهايـة الطريق ، صدر العدد الثالث بـافتتـاحيـة كتبها محام بعنـوان (يـا أيها النمل) ولم يظهـر من المقـال إلاالعنوان فقط ، أما المقال فقد أكلته الرقابة ضمن ماأكلت من العدد الثالث. وكان مقـال العبد للـه عن مصر المخترقة أرضهـا المستباحـة بفضل وجود مطارات على أرضهـا وموانىء فى بحارهـا لاتخضع لسيادة الدولـة المصرية ولكنها تخضع لجيـش الاحتلال ، وقلت فى المقال إن كـل المواد المخدرة التى تصل إلينا تصل عـن طريق هذه المطـارات ، وكل الأموال المهـربة من مصر تأخذ طريقها للخارج من خلال هذه المطارات .

ولكن مقال العبـد لله لم يظهر منه إلا عـدة أسطر متناثرة على مسـاحة ثلاث صفحـات ، ورسم طوغان صـورة لجندى إنجليزى يفتح فمـه ، الذى بـدا كأنه جـراج عمومى وطـابور من العـربات يتـدفق داخله وكل سيـارة مكتـوب عليها كلمتـان . أرز مصر ، قمح مصر ، قطن مصر ، ولكن الـرقيب وضـع بقعة سوداء على وجه العسكرى البريطانى . فبدت الصورة بعدالطبع وكأن فم العسكرى الإنجليـزى هـو مجرد مخزن كبير ، بينما السيـارات تدخل إلى المخـزن وهى تحمل كل هذه المواد الغـذائية ، والحمد للـه لأنه لم يكن هنـاك قراء للمجلـة وإلا لأبدى بعضهم رأيـه فى رسوم طـوغان عمليـا بضربات الأيدى وكعوب الأقدام .

المهم اننا بعد طبع العـدد الثالث ، وكنا جلوسا فى المطبعة والسـاعة تدق الخامسـة صبـاحـا ، جلسنـا نتنـاقش فى مستقبل الجريـدة ومستقبلنـا السياسى أيضا ، اقترحـت على على كامل وطوغان اختصار الطـريق ، وبدلا من تسليم النسخ للمـوزع ثم يقوم الموزع بتـوزيعها فى السوق ، ثـم يقوم بجمعهـا من السـوق ، ثم يكتشـف فى العـدد الأول أن المرجـوع أكبر من المطبوع، ويبيع الموزع العدد الثانى لبـاعة اللب والفول السودانى ولايكلف خاطره بابلاغنا عن حجم البيع سواء للقارىء أولمحلات الفول السودانى ،

معللا بيع العدد بالأقة للحصول على عرقه الذى بددناه .

فاقترحت على زميلى على كامل وطوغـان أن نقوم نحن ببيع العدد الثالث من المطبعـة رأسا إلى بتوع اللـب والفول السودانـى دون المرور بهذه اللفة الطويلـة التى ليس لها مبرر على الاطلاق . ولم يستغرق النقاش بيننـا أكثر من دقائق حتى اقتنع الصـديقان على كامل وطـوغان بأن بيع المجلة لبـاعة الفول السودانى الآن وعلى الفور هو أحسن حل لمشاكلنا كأفراد ولمستقبلنا كسياسيين ولبرنـامجنا السيـاسى الاجتماعى الخنفشارى الـذى من أجله سيرفعنـا النـاخبون على الأعنـاق ، وسيـذهبـون بنا إلى كـراسى الأحكام والسلطان والهيلمان .

وبالفعل خطفت رجلى إلى أحد تجار الـورق بشارع كلوت بك ، وتصور العبد لله انه بعد السلام عليكم وعليكـم السلام فان الأمر لن يستغرق أكثر من دقـائق معـدودة وينتهى كل شىء على مـايـرام ، ولكننى أدركت فى ذلك اليوم أن السـوق له قـوانين وانه لابـد من احترام قوانين السـوق ، حتى فى عملية هايفـة كتلك العملية التى كنت مكلفا باتمامهـا فى ذلك الصباح ، وعلى رأس قوانين السـوق التى تعلمتها أن الأمـر يختلف اختلافـا رهيبا ، بين أن تسعى أنت إلى التاجر أو يسعى التاجر إليك . ويبدو أيضا أنه كان يبدو على العبد لله اننى أتعجل إتمام الصفقـة وكأننى حرامى وأرغب فى التخلص من جـريمتى بأى ثمن وفى أقصر وقت ، وظهـر على التاجـر المدرب انـه لايريـد الصفقة ، فلـديه كميـات ضخمة من الورق ، وقـال وهو يتثـاءب .. السوق ميت الأيام دى ، ولوخليتهم عندك شهرين ثلاثة يمكن العجلة تتحرك.

وكادت أعصـابى أن تفلت منى وهممت بشتيمة التاجر ، إلا أن طـريقته فى الاستفزاز لم تكن من النوع الـذى يبرر رد الفعل العنيف الذى كنت أفكر فيه ، وسيطـرت على أعصابى وقلت لـه بنفس الغتاتـة والغلاسـة التى كان يتكلم بها .. طيب إن شاء الله أفـوت عليك بعد شهرين ، فـرد بنفس الصوت النحاسى الردىء .. ولو بعد ثلاثة أشهر يبقى أحسن ! .

ودخت دوخـة الأرملـة وأنـا أسعـى بين شـارع كلـوت بك إلى شـارع عبدالعـزيز وبين الفوالـة والعشماوى ، باحثا عـن تاجر يـرضى الحضور معى إلى المطبعـة لشراء المجلة ، وعندمـا أعيتنى الحيل رحت أجر رجلى جرا

نحو المطبعة ، وكم كانت دهشتى عندما شاهدت على باب المطبعة رجلا بجلباب ومعه عربة وميزان ضخم بينما راح بعض العمال يحملون نسخ المجلة إليه ويجرى وزنها بإشراف طوغان ، وكان البائع يبدى تذمره بين الحين والآخر لأن أعداد المجلة وزنها أكبر من حجمها الحقيقى ، لأنها سخنة وخارجة لتوها من المطبعة ، المهم اننا اختلفنا بعض الوقت ثم اتفقنا فى النهاية وحصلنا من البائع السريح على أربعة وثلاثين جنيها ثمنا لأعداد المجلة ، وكان هذا المبلغ هو أول أرباح نحققها من العمل الصحفى وبهذا المبلغ قضينا أربعة أيام على شاطىء البحر فى الاسكندرية ، وقضيناها فى تفكير هادىء وقمنا برسم خطوط مستقبلنا السياسى فى الفترة القادمة ، وتجنبنا فى الخطة الجديدة كل الكمائن والشراك التى نصبت لنا من قبل ، واتفقنا على الخطة الجديدة وتعاهدنا على تنفيذها على أكمل وجه ، وعدنا إلى القاهرة وبدأنا فى تنفيذ الخطة ، ولكن .. ما هى الخطة ؟ وماهو الهدف ؟ هذا ما سوف نكشف عنه وعن تأثيره الخطير ، ليس بالنسبة لنا فقط ولكن بالنسبة لمصر وللعالم العربى وللعالم الثالث عشر !







خنجر فى الظلام

وهكذا .. أصبحت اللجنة المركزية فى حالة انعقاد دائم للبحث عن وسيلة لتأدية الدور التاريخى الذى وضعته الأقدار على أكتافنا لقيادة مصر والعالم العربى .. واجتمعت اللجنة المركزية بالفعل .. على كامل وطوغان وأنا لاتخاذ القرارات اللازمة والحازمة لتحقيق هذا الهدف الذى سيدخل التاريخ من بوابة المتولى .. ولما كان الرسام طوغان هو مدير عام المشروعات ، فقد طرح للمناقشة مشروعا خطيرا سرعان ماوافقنا عليه واعتمدناه . واتخذنا قرارا فوريا بوضعه موضع التنفيذ .

كان الاقتراح هو تأليف حزب خاص بنا ودعوة الجماهير إلى حضور الهيئة التأسيسية لوضع الخطوط العريضة لبرنامج الحزب ، وللبحث فى إصدار جريدة أو مجلة للحزب حسب التساهيل ، وباعتبار العبد لله مفكر الحزب وفيلسوفه الوحيد ومسئول مكتب الاعلام فى اللجنة المركزية ، فقد وضعوا فى عنقى مهمة دعوة جماهير الحزب وعقد الاجتماع الذى تحدد له تاريخ بعد أسبوع ، ولكن المشكلة التى واجهتنى هى جماهير الحزب التى سندعوها للاجتماع . فقد كنا حتى هذه اللحظة لاعلاقة لنا بأية جماهير من أى نوع ، ولكن التجربة مفيدة فى مثل هذه المواقف ، والعبد لله صاحب تجربة فى حزب رفعة الباشا ، ولذلك قررت الاستفادة من تجربة رفعة

الباشا فندعو الجماهير إلى الاجتماع ولأسباب مختلفة تغرى كل إنسان حسب أطماعه أو حسب تطلعاته على الحضور ! .

وبدأت الشغل على ودنه . خطفت رجلى إلى عبده بكر المكوجى لحضور الاجتماع مع شلته ، ولم يكن عبده بكر إلا المكوجى الذى يقوم بكى ملابسنا ويمتلك دكانا بشارع عباس بالجيزة . وكان عبده قلقا وطموحا ومتطلعا ونهما إلى الشهرة وتحقيق ذاته ، وهداه طموحه فى فترة الحرب العالمية الثانية إلى تكوين فرقة مسرحية ضم إليها بعض الخدم والطباخين وبعض الخادمات من المترددين على محله ، وقام بالفعل بتأليف رواية اسمها « خنجر فى الظلام » استأجر لتأليفها طرابيشى سابق أهمل عمله بعد أن أهمل الناس ارتداء الطربوش قبل أن تقوم الثورة بإلغائه بعد ذلك بعدة سنوات .

وكان السبب فى إهمال الناس للطربوش هو ولع العساكر الإنجليز بخطف الطرابيش من على رؤوس المصريين ، وسجلت أقسام الشرطة فى القاهرة محاضر بخطف خمسين أوستين طربوشا كل يوم . هذا بالطبع غير الطرابيش التى آثر أصحابها الصمت وترك عوضهم على الله .

المهم أن المؤلف الطرابيشى وكان اسمه أحمد شلبى ، و كان حريصا على أن يكتب اسمه أحمد جلبى ، على أساس ان هذا هو الصواب أقول .. المهم أن المؤلف أحمد شلبى أو جلبى حضر إلى دكان عبده المكوجى ذات صباح وفي يده كشكول وعدة أقلام «كوبيا» لزوم تأليف المسرحية ، وجلس على كرسى بالقرب من عبده ، الذى كان يتولى عملية التأليف شفاهة أثناء قيامه بعملية كى ملابس الزبائن ، بينما يقوم عم شلبى أو جلبى بالتأليف الفورى آخذا فى الاعتبار وضع الأحداث التى يرويها عبده فى الاطار المسرحى الملائم وحسب قواعد أرسطو ودرينى خشبة وعبدالفتاح البارودى .

وكان عبده بكر من ممثلى مسرح رمسيس ومن عشاق يوسف بك وهبى ، أما اشتغاله بالتمثيل مع يوسف وهبى فقد جاء عن طريق مقاول أنفار استأجر عبده ضمن مجاميع كثيرة من البشر ليؤدى دور كومبارس صامت فى رواية « أبناء الفقراء » وبعد انتهاء عرض الرواية ظل عبده

ملازما للمسرح يبحث عن دور ، وعندما أغلقت فرقة رمسيس أبوابها ، تضخمت أحلام عبده إلى درجة أنه قرر تأليف فرقة مسرحية والقيام بأدوار يوسف بك وهبى شخصيا . ولذلك أيضا جاءت مسرحية « خنجر فى الظلام » خليطا من مسرحيات يوسف بك وهبى من أول « أولاد الفقراء » إلى « عريس فى علبة » وتناثرت فى أنحاء مشاهد « خنجر فى الظلام » عبارات مشهورة ومحفوظة ليوسف وهبى ، عبارات من أمثال .. شرف البنت زى عود الكبريت مايولعش غير مرة واحدة و .. ياجوليا يامرات الكل يامزبلة .. و .. روح عليك اللعنة ياعدو الله . وكانت هذه العبارات تجرى على ألسنة أبطال « خنجر فى الظلام » بدون مناسبة وبغير سبب على الإطلاق .

كانت فاطمة فى رواية « خنجر فى الظلام » تعتب على حبيبها تخلفه عن الحضور فى الموعد المحدد ، فصرخ فيها كامل بطل الرواية قائلا : ياجوليا يامرات الكل يامزبلة ! وكان الأجر الذى يحصل عليه المؤلف شلبى يحسب باليومية ، ولذلك استغرق تأليف المسرحية وقتا طويلا ، وكان عبده لايخفى تبرمه من هذا الوضع ، وينفخ بشدة وهو يقول للمترددين على دكانه : دا بيلهف يومية خمسة قروش . دا غير الأكل اللى بيطفحه طول النهار ، والسجاير اللى نازل شرب فيها زى الحريقة ، وكان عبده بكر يبالغ فى مسألة السجاير .

كان شلبى قنوعا فى مسألة التدخين ويقوم بالتخميس مع عبده فى كل سيجارة يشعلها ، عبده يشفط نفسا وشلبى يشفط نفسا ، وهكذا حتى تنتهى السيجارة ، وغالبا كانت تنتهى بين أصابع عبده ، الذى تحول لون أصابعه إلى شيء أشبه بصفار البيض وكانت « أفلة » المسرحية أو خاتمتها معقدة إلى درجة أن العم شلبى استغرق فى كتابتها عدة أسابيع . وكان عبده يصرخ فى وجه شلبى بين الحين والآخر مطالبا بالاسراع فى وضع الخاتمة ، بينما كان شلبى مصرا على أن تأتى الأفلة « روعة .. تعمل هزة فى البلد » ولكن عندما نفد صبر عبده ، أصدر قرارا عاجلا بفصل عم شلبى وصرفه بمعروف بعد أن استولى منه على كشكول المسرحية . وعندئذ كتب عبده على غلاف الكشكول « رواية خنجر فى الظلام » تأليف عبده بكر .. إخراج عبده بكر .. بطولة عبده بكر .. بالاشتراك مع أمينة رزق وفاطمة رشدى »

وبدأت بالفعل عملية البروفات على المسرحية ، وفى المساء من كل يوم كان عبده يزيح الترابيزة على جنب ثم يبدأ فى إجراء البروفات .. وكان عبده هو البطل ، والبطلة خادمة عند عند أحد القضاة وتدعى أمينة . أما الأبطال الآخرون فكان أبرزهم صابر الطباخ ومحمد حشيف .. وشدت الضجة المنبعثة من دكان عبده أنظار رجال المباحث فهجموا على دكانه وألقوا القبض على الخادمات والطباخين والسفرجية . وغاب عبده وفرقته أياما فى التخشيبة ، ثم خرجوا جميعا بعد عمل التحرى اللازم وثبوت براءتهم من ارتكاب أعمال جنائية .

وانفض مولد « خنجر فى الظلام » ولكن ظل عبده يبحث عن مكان لإجراء البروفات وعن مسرح لعرض الرواية ، ولذلك كان يرقص طربا والعبد لله يدعوه لحضور الاجتماع للبحث عن أنسب الطرق للقيام بعدة أنشطة فنية وللنظر فى إجراء بروفات على مسرحية « خنجر فى الظلام » ، وفى فورة حماسه قرر تخفيض سعر الكوى للعبد لله ، ليصبح قرش صاغ واحداً لكل ثلاثة قمصان ، وكانت بقرش ونصف قبل توجيه الدعوة إليه !

وانتقلت بعد ذلك إلى دكان الكابتن أنور ، وهو سمكرى سيارات وكابتن فرق السلاح الماضى لكرة القدم . وكان الفريق يضم بين أفراده نجم الكرة المصرى الشهير فى الأربعينيات والخمسينيات فؤاد صدقى . وكان من أحلام الكابتن أنور إنشاء اتحاد لكرة القدم فى الجيزة للإشراف على دورى فريق الحوارى من « الأسهم النارية » و « الأسد المرعب » إلى « السلاح الماضى » و « العفاريت الزرق » وجلست مع الكابتن أنور وأقنعته بضرورة حضور الاجتماع التاريخ الذى سينظر فى أمور كرة القدم فى الجيزة تمهيدا لتأسيس الاتحاد والاشراف على دورى فرق الحوارى والأحياء .. وأقنعته بضرورة حضور أكبر عدد ممكن من الناس لكى نضمن التصويت لصالحنا أثناء عملية الانتخاب .

وفى اليوم الثالث خطفت رجلى إلى دكان المعلم قطب وأقنعته بحضور الاجتماع وضرورة حضورعدد من أصدقائه لضمان التأثير على الحاضرين لكى نخرج فى النهاية بقرار يضمن لنا العفو عن كل الجرائم التى ارتكبت أثناءالحرب العالمية الثانية ضد قوات الحلفاء ، وكان المعلم قطب صاحب

دكان فى الجيزة ، وكان يستخدمه كمسكن يقيم فيه مع زوجته وأطفاله الثلاثة ، ولم يكن بالدكان أى شىء معروض للبيع ، ومع ذلك كتب قطب على جدرانه حكمة « ملك الملوك إذا وهب لاتسألن عن السبب . الله يعطى من يشاء فقف على حد الأدب »

وكان المعلم قطب لايخفى عداءه للانجليز ويتمنى لهم الهزيمة ويعلن حبه الشديد للألمان ويدعو «هلتر» بالنصر .. وكان يحتقر كل من يتعامل مع الانجليز ، ولو بشراء السجاير منهم أوبخطف المحافظ من جيوبهم .. وأحيانا كثيرة كان قطب يسأل العبد لله : إلا لو روميل دخل مصر هيدوروا على الناس الجدعان اللى وقفوا ضد الانجليز ؟ وإلا برضه هترجع ريمة لعادتها القديمة !

ولكن لسوء حظ المعلم قطب أن روميل تراجع وتقدم مونتجمرى ، وتبددت أحلام قطب وأصيب بالإحباط ، فقد كان يتصور أن حل جميع مشاكله يتوقف على انتصار روميل ، الذى سيبحث عن الجدعان الذين قاطعوا الانجليز ودعوا لهم بالهزيمة . وفى ظل تلك الظروف الكئيبة التى أحاطت بالمعلم قطب ، هبط عليه ذات مساء أحد فتوات الجيزة ويدعى مصطفى لطفى ، وعرض على المعلم قطب عرضا سال له لعابه ، عرض الفتوة مصطفى لطفى استئجار دكان قطب لتخزين بعض البضائع .. مجرد تخزين فقط ، ومقابل عشرين جنيها كل شهر .

يا إله السماوات والأرض ، عشرين جنيها مرة واحدة لم تدخل جيب المعلم قطب طوال حياته ، يالها من صفقة العمر ، ومع من ؟ مع مصطفى لطفى الفتوة الذى تنحنى له كل الرقاب ، وفى الصباح جاء الفتوة ومعه عربة لورى وأنزل الشحنة .. صناديق مغلقة وفرد كاوتش وبطاريات سيارات جديدة وأدوات أخرى لم يدقق المعلم قطب كثيرا فى حقيقتها .

وانقلبت أحوال المعلم قطب رأسا على عقب . استأجر شقة جديدة بثلاثة جنيهات على مقربة من الدكان ، نقل إليها الزوجة والأطفال وجلس هو على باب الدكان يحرس بضائع لايعرف منها شيئا .. ومرت ستة أشهر كاملة وهو يرتع فى هذا النعيم ، حتى جاء صباح أسود من قرون الخروب ، حين هجم على دكان قطب عدد من الضباط والمخبرين وفتشوا الدكان ولينقلوا كل شىء إلى سيارة كانت معهم ، وساقوا المعلم قطب أمامهم مقبوضا عليه

إلى سجن مصر ، وفى التحقيق اكتشف المعلم قطب أن دكانه عامر بأشياء مسروقة من معسكرات الجيش الانجليزى . وأنكر قطب معرفته بأى شىء وادعى أن أشخاصا مجهولين حملوها إليه نظير إيجار شهرى هو فى أشد الحاجة إليه .

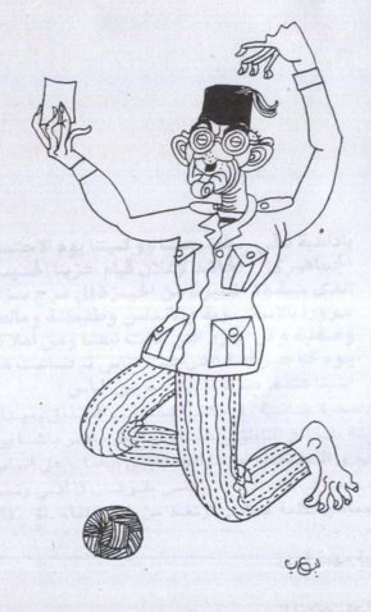
ولم يجرؤ المعلم قطب أن يكشف للمباحث عن شخصية مالك الأشياء هذه ، ووجد قطب نفسه بين نارين ، إذا كشف عن حقيقة مصطفى لطفى فقد يلقى حتفه تحت الضربات الساحقة لقبضة مصطفى لطفى القوية ، وإذا سكت فسيدخل السجن ويضيع فى الكازوزة . ومرت سنوات طويلة بين تحقيق ومحاكمة وتأجيل وخرج بكفالة مائة جنيه دفعوها له ، وعاد من جديد يجلس أمام الدكان الذى تحول إلى مسكن لأسرته مرة أخرى ، ثم صدر حكم غيابى ضد قطب بالحبس لمدة سنة ، ثم استأنف الحكم ، ثم تاهت القضية ولا أحد يعرف السبب ، ثم عادت القضية فجأة وأعلنوا قطب بضرورة الحضور ، ولكن قطب صمم على الاختفاء ، ولكن أحد المحامين طمأنه بانه ومجموعة من كبار المحامين يعملون بكل جهدهم لإصدار قانون يقضى بإسقاط جميع الجرائم التى ارتكبها مصريون ضد قوات الاحتلال أيام الحرب ..

وكان مدخل العبد لله إلى المعلم قطب هو ضرورة حضور الاجتماع مع أكبر عدد ممكن من الناس للضغط على الحكومة لإصدار قانون العفو عن جميع المصريين وعلى رأسهم المعلم قطب، وعندما سمع المعلم قطب من العبد لله هذه الاسطوانة ، وقف ورقص بالفعل وطبع على رأس العبدلله قبلة ودعا للعبد لله بالنصر .

وهكذا .. أصبحت الجماهير مستعدة لحضور اجتماع أول جمعية تأسيسية لحزبنا الجديد الذى سيقود المسيرة ويرفع العلم المصرى على منابع النيل .. فقد كانت هذه النقاط من أهداف حزبنا !

ويوم الاجتماع جلست كما على ماهر باشا فى حجرة جانبية بمكتب محاسب صديقى يقع فى ميدان الجيزة .. ولكن ياللهول .. على رأى يوسف بك وهبى على الذى جرى لنا فى هذا الاجتماع ، الذى شابت لهول أحداثه الغربان والفئران ورأس العبد لله أيضا ، مع اننى كنت فى الثانية والعشرين من العمر !!



صفيحة السوابق



ياداهية دقى .. فضيحتنا ووكستنا يوم الاجتماع الجماهيرى الحاشد لإعلان قيام حزبنا الحديدى الذى سيقود المسيرة من الجيزة إلى برج بيزا ، مروراً بالإسكندرية والأندلس وطليطلة ومالطا وصقلية وكل الجزر التى كانت تبعنا ومن أملاكنا يوم كنا خير أمة أخرجت للناس ثم ضاعت من أيدينا عندما صرنا (....) أمة بين الناس !

جلس العبدلله فى حجرة جانبية ، فى مكتب المحاسب الصديق بميدان الجيزة وجلست جلسة «الخالق الناطق» عمنا رفعة على ماهر باشا يوم اجتماع حزبه الجماهيرى الذى يشبه حزبنا الجماهيرى أيضا .. على أساس أن جماهيرى هو لقب أحزاب تلك الأيام ، وهمس طوغان فى أذنى ونحن جلوس فى انتظار الجماهير بكلمة جعلتنى أرتعد من هول المفاجأة .. قال طوغان :

- إحنا نسينا حاجة مهمة قوى .

- إيه ؟

نسينا نطلق اسما على حزبنا !!

ياخبر أسود ومهبب ومزفت .. صحيح لقد نسينا فى غمرة انشغالنا بمستقبل حزبنا أن نطلق عليه اسما ، ولكن بسيطة ! واقترح على كامل أن نتدارك الموقف ونطلق عليه اسم حزب الأهالى ، تشبها بحزب الأهالى العراقى ، ولكنى رفضت لأن صلتنا بالعراق ليست على ما يرام ، ولذلك من

الأفضل أن نطلق عليه اسم حزب الشعب على اسم حزب الشعب السورى الذى كان من بين زعمائه السيد على بوظو .. وكان صديقا للعبدله ، وهى الصداقة التى استمرت بيننا حوالى ربع ساعة هى المدة التى استغرقها لقائى به عند زيارته للقاهرة فى فترة سابقة ، وهتف طوغان صارخا .. أقترح تسمية حزبنا بحزب النجادة ، على غرار حزب النجادة اللبنانى ، وقال طوغان .. انه حزب طيب ومواصفاته كلها طيبة ، وهو حزب كشافة ومعسكرات خلوية ، وأعضاؤه يعلقون المطاوى فى أحزمة بنطلوناتهم ، ورئيس الحزب له جولة كل عام فى أنحاء العالم العربى المتيسر لجلب الإعانات والإكراميات .

المهم أننا بعد أن استعرضنا كل الأحزاب العربية من أول حزب الكتائب الى حزب الاستقلال إلى حزب وداد جلبى يابوى لمعت فى ذهن العبدله فكرة جهنمية ، لماذا لانطلق على حزبنا اسم حزب الجماهير ؟!! يالها من فكرة رائعة مثل فكرة واحد صاحبنا اسمه عبد الفتاح الجيزاوى .

كان يغنى فى الأفراح والليالى الملاح فى الجيزة وكان يدعى كذباً أنه على صلة قرابة بالمنولجست عمر الجيزاوى ، وكان عبد الفتاح هو التجسيد الحى لمطرب الأخبار الذى ابتدعه خيال الكاتب أحمد رجب ونفخ فيه الروح على صفحات الأخبار .

وكان عبد الفتاح لاينجو فى كل فرح من علقة حتى تورم قفاه بالفعل ، وبمرور الزمن وليأسه من أن يصبح مطرباً قام بتغيير اسمه من عبد الفتاح الجيزاوى إلى عبد الفتاح المطرب ، ونشر إعلاناً رسمياً يطالب المعترضين بالتقدم إلى الجهات الرسمية بأسباب الاعتراض ، وبعد مرور المهلة المحددة ، صار اسمه الرسمى عبد الفتاح المطرب ، ولكن اسمه الفعلى ظل على ألسنة الناس ..عبد الفتاح الجيزاوى !!

المهم أن الاسم الذى أقترحته لحزبنا نال استحساناً وموافقة على الفور ، وصار اسمه حزب الجماهير ، بدأت الوفود تتوافد على مقر الحزب .. وجاء فى البداية وفد الكابتن أنور ، وجاء معه عدد من أعضاء الفريق ، بعضهم حمل كور أنبوبة والجميع يرتدون زى الكورة ، ولما كانت العين بصيرة واليد قصيرة ، فقد جاء بعضهم وقد أخفوا الجلباب داخل اللباس ، وكان

معهم أيضا عم بسيونى ، وهو رجل عجوز كان يعمل فراشا فى أحد البنوك ، ويرتدى نظارة طبية ، فلما اعتزل العمل فى البنك عمل حكما بين فرق الحوارى ، وكان يتقاضى خمسة قروش عن كل مباراة .

وكان فى الملعب شديد العنجهية والغرور ، والكارت الأحمر حاضر دائما ومستعد لطرد كل من يرفع صوته بالاحتجاج .. وعندما لمحنى عم بسيونى أجلس منجعصا وواضعاً ساقاً على ساق ، أخرج صفارته من جيبه وأطلقها تحية منه للعبدله ، وجلس أعضاء الفريق واحتلوا الصفوف الأمامية ، ثم راحوا يهتفون : يامحنى ديل العصفورة ، فرقتنا هيه المنصورة !

وجاء فريق المعلم قطب ومعه بعض حرامية المعسكرات الذين كانوا يسطون على معسكرات الجيش الإنجليزى أيام الحرب ، بعضهم دخل السجون ، وبعضهم لاتزال قضاياهم معلقة أمام المحاكم ، ولكن الأمر الذى جعل قلبى يغوص فى ركبتى هو ظهور الفتوة مصطفى لطفى فى القاعة ، فلما رآنى أتصدر المكان ، أدرك أننى الرئيس فهتف على الفوربصوته الجاعورة .. ياميت مسا ، أجدع ناس واللى خلق الخلق .. أهو كده .. لازم القواضى دى تنشطب ، همه يعنى عملوا إيه ؟ سرقوا إنجليز ، طيب وفيها إيه دى ؟ ثم دى غنايم ،والنبى ألف صلاة عليه خد الغنايم من الكفار !

وصاح واحد آخر من أصحاب السوابق الذين ترددوا على السجن أكثر من مرة ، طب واللى خلق الخلق الحكومة دى ــ يقصد حكومة إبراهيم عبد الهادى ــ كافرة ، دول قعدونى فى السجن ٥ سنين ، عشان إيه يعنى ؟ شوية مواسير خدناهم من المعسكر ، واللى خلق الخلق لازم نرفع قواضى ونأخذ التعويض !

وهب بعده واحد من السوابق وأزاح جلبابه عن ظهره ، فبدأ أثر لجرح قديم وقال بصوت غليظ : اللى انت شايفه ده ضربة سونكى من عسكرى انجليزى ، ولولا لطف الله كنت زمانى نايم فى قرافة الإمام الشافعى من سنين ، ودا غير الضرب والإهانات اللى شفناها فى مكتب البيه ضابط المباحث واللى زاد وعاد رمونا فى السجن أربع سنين ! ودعا المعلم قطب فرقته إلى الهدوء ، وقال .. الحمد لله ربنا وقفلنا البيه فى سكتنا وربنا يكافئه حسب نيته ، والليلادى وإن شاء الله هنتشال كل القواضى مع(صفيحة)

السوابق ونرجع أنضف من الصينى بعد غسيله ! واقتحم مقر الحزب عبده بكر المكوجى على رأس فريقه ، لمحت على رأسهم صابر الطباخ ومحمد شيف وهو طباخ هو الآخر ، ولكنه اشتغل فترة فى بيت أحد السفراء ، فأطلقوا عليه فى السفارة لقب (الشيف) أى رئيس الطباخين . فلما ذهب إلى القهوة فى المساء وأبلغهم نبأ تعيينه (شيف) فى السفارة سخروا منه وأطلقوا عليه اسم محمد شيف ، وصار علماً عليه بعد ذلك ، وبعد قليل دخل الاجتماع عم جلبى مؤلف (خنجر فى الظلام) ولاحظت فى يده نسخة من الرواية ، كما لاحظت وجود نفس النسخة فى يد عبده بكر !

اكتملت الآن اللجنة التأسيسية لحزب الجماهير ، وما على الزعيم الذى هو حضرتنا إلا بدء الاجتماع وإلقاء الخطبة النارية التى لابد ستذيعها وكالات الأنباء فى أنحاء المعمورة ، وكان طوغان قد استدعى المصورين لالتقاط الصور التذكارية للاجتماع التاريخى ، وقد حضر متأخراً ووقف يعتذر عن التأخير حاملا فى يده كاميرا سوداء اللون تشبه الصندوق مركبة على حامل بثلاث أرجل ويتدلى منها قماش أسود طويل كالشوال ، وفى اليد الأخرى جردل ماء ، ومعه مساعد بلمبة كهربائية (فلاش) لزوم التصوير فى الليل ، وبعد أن نصب العدة أدخل المصور رأسه فى الشوال الأسود ، وراح المساعد يفرقع الفلاشات ، ثم يسحب أوراقا من الكاميرا ويضعها فى ماء الجردل ، ثم مد حبلا يشبه حبل الغسيل نشر عليه الورق الذى استخرجه من الكاميرا !

ووقف العبدلله وسط عاصفة من التصفيق ، وانطلقت الهتافات من فريق الكابتن أنور السمكرى (يامحنى ديل العصفورة) وبعد أن ألقيت السلام على الحاضرين ، وقبل أن أتفوه بأى كلمة ، وقف عم جلبى وقال موجها الحديث لحضرتنا :

- أنا بس عندى كلمة قبل حضرتك ماتتكلم .. أشرت له بالجلوس ولكنه مضى قائلا :

- أنا عارف ! إنك عاوز تساعد عبده وربنا يسهله ، أنا راجل بأحب الخير للناس ، لكن أنت مايرضكش إن حقى يتاكل (خنجر فى الظلام) أنا اللى كاتبها والنسخة بخطى أهه ، والنسخة اللى مع سى عبده بخطى برضه

.. وأنت ..

وقبل أن ينتهى من كلمته ، نهض عبده كالمجنون ولعن سنسفيل اللى نسلوا عم جلبى ، وقال .. دا راجل مجنون ، كل الحكاية أنا جيبته عشان خطه حلو ، طيب .. خليه يقول كده جملة فى المسرحية .. خليه يقول جوليا يامرات الكل يامزبلة ، ثم نظر نحو جلبى وقال .. تعرف معناها دى ؟ تعرف تقول .. أنا لما كنت فى سويسرا واشوف الثلج نازل كنت أتذكر عرق الفلاح اللى بيتصبب من الجباه بالشكل ده !! تعرف يتصبب يعنى ايه؟ وتعرف بقى إن ماكنتش هتخرج من هنا ، أنا هابيتك فى المستشفى الليلادى .. عند هذا الحد هب مصطفى لطفى غاضبا وصاح فى صوت سمعه بالتأكيد الذين فى الميدان .

- إيه دى ؟ إحنا فى إيه والا فى إيه ؟ خنجر إيه اللى فى الظلام ده .. طب علىَّ الطلاق إن ماقعدتوا ياولاد الهرمة لتكون ليلتكو مش فايتة .. أحنا جايين هنا عشان سى عبده بكر ولا إيه ؟.

ملعون أبوكوكلكو*..

ويبدو أن عم جلبى لم يكن يعرف من هو مصطفى لطفى ، فنظر نحوه شذراً بعد أن عوج الطربوش وقال له :

- إيه قلة الأدب دى والسفالة دى .. أنت ياراجل أنت مش تشوف بتكلم مين ؟ ولم ينته من عبارته إلا ورفع مصطفى لطفى مقعداً وضرب به عم جلبى ، فوقع على الأرض والدماء تنزف من رأسه ، وهب صاحب المكتب كالمجنون وصرخ فى وجه مصطفى لطفى ، فهبده الأخير مقعداً آخر ، وظاطت القاعة ودبت الفوضى بين الجماهير ، وطاح مصطفى لطفى فى الجميع ، ونال العبدلله من الحب جانب ، فأصابنى مقعد شارد فى وجهى ، وسقط طوغان على الأرض وهو يحاول تهدئة الجماهير ، وأطلق عم بسيونى صافرته لتهدئة المباراة ، وحاولت الخطابة ، ولكن جسماً صلبا ضرب جبهتى مرة أخرى .. وساد الظلام القاعة فجأة ، فلم يعد هناك إلا صوت ضرب الكراسى وصرخات الجرحى والمدهوسين تحت الأقدام ، وتسللت فى الظلام من بين أجسام الجماهير وخرجت إلى الميدان ، ومن الميدان إلى الشارع ومن الشارع إلى حى شبرا حيث كانت تقيم عمتى هناك .

وشهر كامل لم أستطع دخول الجيزة أو أهوب نحوها . وعندما اتصلت تليفونيا بقهوة محمد عبده للسؤال عن طوغان ، أفهمنى عم زكريا الحجاوى أنه مريض ومصاب بكسر فى ضلوعه وأن إحدى أسنانه تحطمت ، وهو نائم فى سريره لايستطيع مغادرة الفراش . أما على كامل فلم نره إلا بعد ستة أشهر . فقد كان لحسن حظه يسكن فى السيدة زينب وجاءنا ومعه مشروع جديد على طريق المسيرة نحو عالم الغد السعيد ، ومن أجل مجتمع الورود والخدود والشواشى العليا للأنكشارية .

والنحل ياهوه !







شبشب على ملوخية !

قال على كامل وهو يرقص طربا : حصل فرج الله يا أولاد ، وسنودع أيام الشقاوة . وراح على كامل يحكى لنا تفاصيل مشروعنا الجديد ، فهناك مشروع مجلة جديدة وراءها تمويل ضخم ومستمر ولاينقطع . وأصل الحكاية ان أحد بشوات الصعيد وقطبا من أقطاب حزب الوفد ويمتلك ألف فدان من أجود الأراضى الزراعية ، الباشا الكبير اختلف مع شقيقه الأصغر ويدعى إبراهيم بك ، وتطور الخلاف بين الشقيقين إلى درجة أن كلا منهما راح يشنع على الآخر ويهاجمه ، وانضمت صحف الوفد إلى الشقيق الأكبر الباشا ضد الشقيق الأصغر ، ولما كان الشقيق الأصغر يتصور أنه صاحب الشعبية الأكبر فى الاقليم وأنه أحق من أخيه بعضوية مجلس الشيوخ وعضوية اللجنة العليا قرر الشقيق الأصغر أن يصدر مجلة للرد على مزاعم أخيه ولإجبار حزب الوفد على الاعتماد عليه بدلا من شقيقه الباشا ، الذى ليس له من المواهب إلاالألف فدان وحظائر الماشية التى اشتهر الباشا بتربيتها فى أحد أقاليم الصعيد

وأكد لنا على أن سعادة البيه الشقيق الأصغر رصد للمجلة ميزانية ٣٠

الف جنيه وهو مبلغ كان يومئذ يكفى لبناء ناطحة سحاب على شاطىء النيل .

عندما بدأنا الانهماك فى العمل سألنا على كامل هل وضع سعادة البيه أى مبلغ من المال تحت حساب المجلة ؟ فأجاب بالنفى وأكد أن البيه سيفعل ذلك عندما نجتمع معه فى الأسبوع القادم لوضع اللمسات الأخيرة على مشروع المجلة ، وجاء البيه فى الموعد المحدد وأدهشنى منظره فقد كان أغلب البهوات الذين رأيتهم من قبل من النوع التركى الملظلظ الذين تستطيع أن تلحظ آثار النعمة عليهم من أول نظرة ، بشرة بيضاء مخلوطة باللون الأحمر ، ولغد سمين يخفى الرقبة وصلعة نظيفة ولامعة كأنها مدهونة بالورنيش ، ولكن منظر هذا البيه كان يختلف ، شكله يقترب كثيرا من شكلنا ،نحيف ومتوسط الطول ولونه الخالق الناطق مثل لون العبد لله ، لون العسل المخلوط بالطحينة أولون العجين المخمر ، وبدلته رغم قماشها الفاخر تبدو عليه وكأنها بدلة رجل آخر .

وجلس البيه بيننا يشرح مشروعه «القومى» الكبير ، فلابد من حد للزعامات التقليدية ، ولابد من زحف الشباب الصاعد على مواقع القيادة ، ونظر نحونا فى حركة «قرعة» لإشعال الحماس فينا وقال : أنتم مثلا ليه ماتمسكوش مكان التابعى وأحمد الصاوى محمد ومحمود أبوالفتح ؟ وعندما طلبنا منه رصد مبلغ من المال لحساب العدد التجريبى .. رد على الفور : الفلوس مش مشكلة .. وهيكون معاكم اللى انتو محتاجينه وأكثر .. بس هو فيه اجتماع صغير بينى وبين الباشا .. وأنا مسافر بكره ان شاء الله وهغيب اسبوع فى البلد وفى الاجتماع ده هيتقرر مصير حاجات كتير قوى وإن شاء الله هديكم إشارة الانطلاق بعد ما أرجع من السفر على طول .

وسافر سعادة البيه لحضور الاجتماع التاريخى وانحشرنا نحن فى دكان فى شارع الخليج المصرى نعمل بكل طاقتنا فى انتظار حضور البيه الذى سيعطينا إشارة الانطلاق وصمم على كامل ماكيت المجلة وأشهد انه كان نموذجا فريدا بالنسبة لصحافة تلك الأيام ، وكتب العبدلله قصة اسمها عودة الأسير ، ورسم طوغان عدة نكت سياسية واجتماعية وقام على كامل بترجمة موضوع شائق عن جزيرة بالى ، وجلسنا ننتظر عودة المخلص من

رحلته ، أخيرا تكرم سعادة البيه واتصل بنا تليفونيا فى الدكان الذى هو فى نفس الوقت مطبعة لصف الحروف باليد وأبلغنا بنبأ عودته وحدد لنا القطار الذى سيحمله بسلامة الله إلى عاصمة الوطن حيث المجلة التى ستحمله بإذن واحد أحد إلى مافوق السحب ، وحملنا ماكيت المجلة وذهبنا بربطة المعلم إلى محطة سكة حديد الجيزة وقطعنا ثلاث تذاكر بـ ٤,٥ قرش صاغ ولم يبق معنا سوى قرش تعريفة من الشلن الذى كنا نملكه ، وجاء القطار أخيرا وقفزنا إلى ديوان الدرجة الأولى واستقبلنا سعادة البيه بترحاب ممزوج بالدهشة والقلق ويبدو انه لم يكن يتوقع حضورنا إلى محطة السكة الحديد .

وقطعنا المسافة من الجيزة إلى القاهرة نعرض على سعادة البيه ماكيت المجلة ، وراح البيه يتابع شرح على كامل وهو يهز رأسه هزات متتابعة وإن كان وجهه ظل جامدا لايعبر عمايجيش فى أعماقه من ردود أفعال ، وأثناء العرض والشرح جاء الكمسارى وفتح باب الديوان وعندما اكتشف أن الركاب الجدد على علاقة مع سعادة البيه انحنى فى أدب واعتذر بشدة ، ولكننى صحت فى الكمسارى : احنا معانا تذاكر وأبرزت له التذاكر ، ولكن الكمسارى ابتسم فى ود وقال فى همس أيوه بس تذاكر درجة ثالثة وانتو قاعدين فى الأولى !! ودس البيه يده فى جيبه على الفور وأخرج المحفظة ولكن الكمسارى هتف بصوت عال : مش المعنى ياسعادة البيه .. وهو أنا حاخد فلوس برضه ؟!! .. دا لو القطر كله لحساب سعادتك مفيش مانع .. ثم أغلق باب الديوان ومضى وعاد على كامل إلى شرح الخطوط العريضة للمجلة ، وبعد أن انتهى كان القطار قد وصل بنا إلى منطقة إمبابة وهنا سأل طوغان .. سعادة البيه : هانسميها إيه ياسعادة البيه ؟ وأجاب البيه على الفور وكأنه كان مستعدا للسؤال : الرقيب ! ثم راح يعدد حسنات الاسم الذى اختاره ، فالمجلة رقيب على الحكومة ورقيب على الأفراد ورقيب على المال العام ورقيب أيضا على أنفسنا . فلا نقول إلا الصدق ولا نكشف إلا الزور والبهتان .

واضطر البيه إلى قطع كلامه عندما دخل القطار إلى محطة مصر وغادر البيه القطار وغادرنا معه وخرجنا من المحطة لنجد سيارة بويك ضخمة فى

انتظار البيه ، ومد يده مصافحا وحدد لنا موعدا للاجتماع فى منزله بكوبرى القبة ثم اختفى داخل العربة ومضت به فى سلام .

نحن الآن فى محطة مصر ، وبيننا وبين الجيزة حوالى عشرة كيلو مترات وليس فى جيوبنا إلا قرش تعريفة لايكفى لكى يسقينا شربة ماء ، ورحنا نزحف على الطريق مخترقين شارع إبراهيم باشا إلى ميدان الأوبرا إلى حى عابدين ، ومن عابدين إلى شارع نوبار إلى السيدة زينب ، وودعنا على كامل وذهب إلى منزله واخترقنا ـ طوغان وأنا ـ شارع السد إلى فم الخليج إلى دير النحاس إلى كوبرى عباس إلى الجيزة .. واستغرقت رحلتنا إلى الجيزة ثلاث ساعات كاملة ، ومن السيدة زينب إلى كوبرى عباس لم ينقطع طوغان عن رسم صورة وردية للمستقبل ، المجلة دى هتنجح يابنى وكل واحد فينا يجيب عربية وهاطلع الكتاب اللى بحلم بيه ، كتاب كاريكاتير يعمل هزة فى مصر ، هاطبع ٣٠ ألف نسخة .. النسخة بجنيه أبيع ٢٥ ألف نسخة والباقى احتفظ به . « طوغان لم يصدر هذا الكتاب إلا بعد هذا التاريخ بـ ١٥ سنة » المهم اننا عشنا فى أحلام كثيرة حتى جاء موعد الاجتماع ووصلنا بيت سعادة البيه قبل الموعد بنصف ساعة ولذلك رحنا نلف وندور حول البيت حتى جاء الموعد فوقفنا عند الباب وضغطنا على الزر وفتح لنا شخص نوبى متين البنيان كأنه محمد على كلاى فى زمانه ، وقادنا النوبى إلى حجرة واسعة تتدلى من سقفها نجفة كبيرة فى حجم كنبة بلدى عمولة ، وجلسنا ننتظر أكثر من نصف ساعة حتى حضر إلينا سعادة البيه يرتدى بيجامة معتبرة وشبشب لو رأته خالتى بهانة لطبخته على شوية ملوخية ، وفوق البيجاما روب من الحرير الطبيعى ٥٥٠ كانيبو « طبعا اكتشفنا هذه الأسماء والماركات بعد سنوات طويلة » وجلس البيه يعبث بحبات مسبحة من اليسر الطبيعى المطعمة بالفضة ، وبعد أن شرح على كامل خطته فى العدد الأول بحيث يكون أشبه بقنبلة تنفجر فى المجال الصحفى قال البيه وهو يهز ساقه اليمنى الموضوعة على ساقه اليسرى : على العموم الكلام ده سابق لأوانه دلوقت .. لأن فيه قدامنا شوية عقبات لازم نشيلها الأول ، وطلب منا أن نكون على اتصال دائم به وأن نحتفظ بحماسنا حتى يحين الوقت المناسب .

وخرجنا من بيت البيه فى الواحدة والنصف ظهرا ، وقطعنا نفس الرحلة من جديد ، ولكنها كانت أطول هذه المرة ، واقترحت ان نواجه البيه بالمصروفات التى أنفقناها على المشروع .. على كامل الذى وضع الماكيت أنفق خمسة جنيهات ورقا وصورا وصمغا لزوم اللزق ومقصا لزوم القطع ومجلات أجنبية لزوم الاطلاع على أحدث صيحة فى عالم الماكيتات ، أما طوغان والعبد لله فقد انفقنا مالايقل عن جنيه فى المواصلات وجنيه سجاير لزوم عدل الدماغ وجنيه قهوة لزوم تهدئة الأعصاب ، هذا غير الدوخة التى دخناها خلال الشهر الأخير .. واقترح العبد لله إرسال خطاب إلى سعادة البيه نطالبه بهرش جيبه ، فالأحذية من كثرة المشاوير حدثت ثقوب فى نعالها والقمصان من كثرة الغسيل والكى حدثت خدوش فى ياقاتها .. وقلت لهم .. اللى ينكسف من بنت عمه مايجيبش منها عيال ..

ورحنا نتصل بالبيه كل يوم صباح مساء .. وحكمة الله أن البيه فى الصبح نايم وفى المساء خارج البيت وترددنا على مقهى يوديجا بشارع عماد الدين حيث كان البيه يقيم أغلب وقته ولكننا لم نعثر له على أثر ، حتى ماكيت المجلة اختفى مع البيه فقد حرص فى آخر لقاء على الاحتفاظ به لدراسته دراسة مستفيضة .. على حد تعبير سعادة البيه .. واقترح طوغان أن نعسكر أمام البيت حتى يخرج فنكبس عليه ونحرجه ونلقنه درسا فى احترام الناس واحترام مواعيدهم .

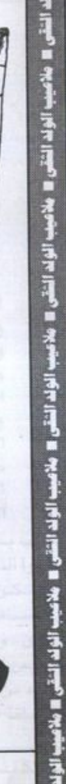
اقتراحات كثيرة ولكننا لم ننفذ منها شيئا .. واكتفينا بطلبه فى التليفون ولكننا أبدا لم نعثر عليه وحكمت الأقدار على مجلة الرقيب أن تبقى فى الظل وضاع شقانا على مفيش .

ولكن ما هو السبب فى سعى البيه لإصدار مجلة ؟ وما هو السبب فى عدوله عن إصدارها ؟ هل كان يعبث بنا ؟ هل هى حركة تهويش قصد بها تهديد بعض الجهات ؟ لابد من حل هذا اللغز الذى غمض علينا .. ولماذا اختارنا نحن الثلاثة للقيام بالدور الرئيسى فى هذه اللعبة التى ليس لها معنى ؟ المهم ان حيرتنا لم تستمر والسر الذى فشلنا فى حله ذاع وانتشر ، فقد قرأنا فى جريدة وفدية نبأ رحلة مسئول وفدى كبير إلى اقليم سعادة الباشا وشقيقه سعادة البيه وبعد أن خطب المسئول الكبير فى اجتماع

جماهيرى حافل تناول طعام العشاء على مائدة سعادة الباشا ثم عقد اجتماعا مع الباشا وشقيقه البيه وانتهت مساعى المسئول بالنجاح ، وصفت النفوس وعادت العلاقات بين الشقيقين إلى ماكانت عليه .. إذن .. تم الصلح بين الباشا والبيه وعادت المياه إلى مجاريها ، أما نحن .. فايش دخلك بين الملوك ياصعلوك ؟!

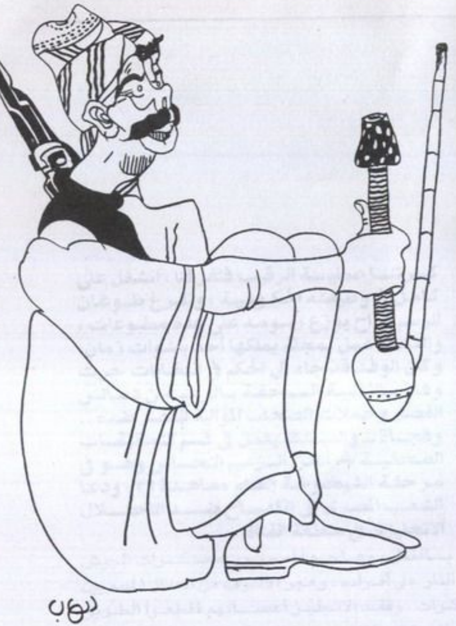
الغريب أننا لم نصادف سعادة البيه بعد ذلك فى أى مكان ، ومرت الأيام والشهور والسنون ثم رأيت البيه فى احتفال كبير أقامته هيئة التحرير بعد قيام الثورة وأسرع بالانضمام إلى هيئة التحرير وصار مندوبها فى إقليمه ، ووافق على مشروع قانون الاصلاح الزراعى مع انه كان يمتلك مع شقيقه ١٠٠٠ فدان من أجود الأطيان ، وعندما صافحته فى الحفل ظهر على وجهه انه لايتذكر شيئا على الاطلاق .. وسألنى باهتمام :انت معانا فى الهيئة والا لأ ؟ فلما أجبته بالنفى قال : ليه ؟ دا احنا عندنا مشاريع كتير قوى .. سنصدر مجلة لازم تشاركنا .. ثم سألنى عن طوغان وعلى كامل وقال قبل أن نفترق : أنا بتابع نجاحكم .. وسعيد قوى ..

وكانت هذه المقابلة هى الأولى بعد مشروع الرقيب ، أما المقابلة الأخيرة فكانت فى المحكمة وسعادة البيه فى قفص الاتهام والعبد لله فى مقاعد الصحفيين . والتهمة الموجهة لسعادة البيه انه أتى أفعالا من شأنها الحض على مقاومة النظام ومحاولة الاطاحة به لصالح الرجعية العميلة والقوى الأجنبية المتآمرة وحكموا عليه بالمؤبد ، ولكنهم أطلقوا سراحه بعد عدة أشهر ، ولم يحتمل سعادة البيه فمات بعد شهور ، ومات شقيقه الباشا بعد ذلك بسنوات .. دنيا !





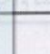




مساء العندليب

كسرتنا عملية الرقيب فتفرقنا، انشغل على كامل فى وظيفته الحكومية، وتفرغ طوغان للرسم وراح يوزع رسومه على عدة مطبوعات، والعبدلله عمل بمجلة يملكها أحد باشوات زمان، وكان الوفد قد جاء إلى الحكم فى انتخابات جرت وفاز بالأغلبية الساحقة بالرغم من دسائس القصر وحملات الصحف الموالية للقصر ضده .. وفجاة ـ والعبدلله يعمل فى قسم التحقيقات الصحفية — أعلن الزعيم النحاس وهو فى مرحلة الشيخوخة إلغاء معاهدة ٣٦، ودعا الشعب المصرى إلى الكفاح ضد الاحتلال الانجليزى فى منطقة القناة .

واشتعلت الحرب بالفعل، وهاجم المصريون معسكرات الجيش البريطانى، وأطلقوا النار على أفراده، وهجر الألوف من العمال المصريين أعمالهم داخل المعسكرات . وفقد الانجليز أعصابهم فقطعوا الطريق الصحراوى على المسافرين من المصريين وخطفوا بعضهم وأبقوهم داخل المعسكرات كرهائن، وتحولت منطقة القناة إلى ساحة حرب . واوفدتنى الجريدة إلى السويس لأكون مراسلاً لها فى ميدان المعركة . وسافرت إلى السويس ذات مساء من أكتوبر عام ١٩٥١ . ووصلنا السويس والفجر على الأبواب بعد رحلة شاقة استغرقت ٦ ساعات .



كان قد سبقنى إلى هناك العم حامد عبد العزيز مندوب الأهرام ، فنزلت فى الفندق الذى كان ينزل فيه . ثم وصل إلى السويس الزميل مصطفى البرادعى مراسل المصرى . فقررنا أن نستأجر شقة فى السويس للإقامة . واخترنا فندق بلير كمركز قيادة لكل المراسلين الذين حضروا من القاهرة .

وذات صباح والعبدلله جالس وحده فى فندق بلير ، تقدم منى مواطن يرتدي جلبابا بلديا ويلف جسمه بعباءة صوف إمبريال سوداء ويضرب على رأسه عمامة بلدى ، شال على طاقية شبيكة ، ويخفى العمامة بتلفيحة صوف ، ويعلق على كتفه بندقية لى أنفيلد . وبعد أن ألقى السلام على العبدلله سألنى بغباء .. أنت السعداوى بتاع الجرانين ؟ فلما أجبت بالإيجاب قال .. قوم معايا من غير مؤاخذة .. سألته إلى أين ؟ لم يجب ولم ينتظر إذنا بالجلوس فجلس على مقعد أمامى وقال .. أنا حمودة وحش الجبال من غير مؤاخذة وأنا قائد كتيبة وحوش الجبال .. سمعت عنها والالا ؟

كنت قد قرأت اسم كتيبة وحوش الجبال فى الجرائد ، ولذلك هززت له رأسى بالإيجاب . عندئذ واصل حديثه مع العبدلله .. أنا معايا عيال تأكل اللحمة نية من غير مؤاخذة مشيبين الانجليز فى الكنوبة (جمع كامب) بس عاوزين واحد بتاع جرانين ينصفهم . سألته .. ينصفهم ازاى ؟ أجاب .. يكتب عن البطولات بتاعتهم .. إحنا فينا أبطال كتير . نطق العبارة الأخيرة ثم نهض واقفا وأشار للعبدلله بأن أتبعه . ووجدتها فرصة لكى أتعرف على كتيبة الأبطال التى تحارب الانجليز فى الكنوبة ، فنهضت وأسرعت خلفه . وطوال الطريق فى شارع النمسا ، كان الرجال الجالسون على الأرصفة أمام الدكاكين ينهضون عند مرور حمودة ويدعونه لشرب الشاى وكان هو يكتفى برفع يده بالتحية على طريقة القادة والزعماء .

وصلنا أخيراً إلى عش النسر ، خرابة فسيحة محاطة بسور يكشف ما وراءه ، وباب واسع خشبة متآكل ، وعلى الباب يافطة عليها رسم ساذج رسمه مبيض محارة . والرسم عن شخص يرتدى ملابس كتلك التى يرتديها حمودة وهو يطعن بالسونكى أحد عساكر الانجليز فى عينه ، ومع أن الطعنة فى العين إلا أن الدماء كانت تسيل من بطن العسكرى ، وإلى جانب الرسم جملة مكتوبة بالزيت الأسود (كتيبة) وحوش الجبال لصاحبها المعلم (حمودة) هل هذه كتيبة أم دكان ؟

المهم أننا دخلنا الخرابة من البوابة ووقعت عينى على عدة حجرات مبنية بالطوب اللبن ، ولم يكن فى الخرابة شىء آخر . وفجأة انشقت الأرض عن رجل عجوز يحجل نحونا ، وعندما اقترب من حمودة وقف وقفة زنهار كعساكر الجيش ، ثم ضرب تعظيم سلام للمعلم حمودة ، ثم أمره حمودة بالكراسى وعدة الشاى . وجلسنا على مقعدين متقابلين ، وعلى مقربة منا كان الشاى يغلى على النار ، بينما الرجل العجوز منهمك فى إعداد الجوزة . وأخرج منها قطعة حشيش راح يرص منها على الجوزة . وبعد أن شفط أنفاسا متلاحقة مد يده بالجوزة للعبدلله وقال .. مساء العندليب ، ثم استأنف حديثه قائلا .. تعميرة اكسرا من غير مؤاخذة ، كانوا الأول - ولاد الهرمة - بيبيعوها لنا بعشرين جنيه الوقية ، دلوقت بناخدها بخمسة جنيه .. حرامية ولاد كلب ! وفات على العبدلله سؤال حمودة عن السبب فى رخص الصنف هذه الأيام !!

ودارت علينا الجوزة المغمسة حتى شعرت بالصهد فى نافوخى ، عندئذ نحى المعلم حمودة الجوزة جانباً ، وهب واقفاً وصاح بصوت غليظ : اجمع .

وعلى الفور خرج من العشش المتناثرة على جانب الخرابة عدد من الشبان ، جميعهم فى صحة جيدة ، يرتدون فانلات زرقاء مثل تلك التى يرتديها عساكر المطافى ، فانلات برقبة طويلة وأكمام طويلة وكلها من الصوف الثقيل ، وبنطلونات صفراء ، أغلب الظن أنها مسروقة من معسكرات الجيش الإنجليزى .

واصطف الجميع فى طابور طويل ، ثم عملوا صفا وانتباه ، ثم ضربوا تعظيم سلام للمعلم حمودة ورد لهم التحية بأحسن منها ، ثم قال لهم والمدفع على كتفه بعد أن أشار بإصبعه على العبدلله وقال .. الأفندى بتاع جرانين ، ثم ضحك ضحكة قصيرة وقال .. مش بياع جرانين ، بيكتب فيها .. وهيكتب عن الكتيبة وبطولاتها وهيسمع صوتنا للعالم كله .. عشان كده عاوزين نظهر قدامه بمظهر حلو .. مفهوم ورد الجميع فى صوت واحد .. مفهوم ياريس !! واستأنف حمودة حديثه لأفراد جيشه .. دلوقت عاوزين نتغدى وبعد الغدا هنمل عرض عسكرى بالسلاح والذخيرة ثم قال فى لهجة آمرة .. انصراف ..

وحدثت فركشة فى الطابور ، بعضهم اقترب منا ، والبعض الآخر عاد إلى

العشش وقلة قليلة راحت تتجول فى الخرابة الواسعة. ثم جلس حمودة على مقربة منى ودس يده فى جيبه وأخرج حفنة من عملات النقد من فئة العشرة قروش والخمسة قروش وراح ينادى .. ياعيسوى .. روح هاتلنا سمك حفار واشويه .. وخد معاك المدفع .. يارمضان روح هاتلنا طرشى وفجل ولمون .. وخد معاك مدفع .. يافتحى .. روح هاتلنا عيش مفقع حلو .. وخد معاك مدفع .. ياسليمان روح هاتلنا شاى وسكر .. وخد معاك مدفع .. وتناول كل منهم القروش القليلة التى أعطاها له المعلم حمودة وحمل مدفعه على كتفه وانصرف فى اتجاه السوق. وقلت للمعلم حمودة .. هوه السوق جنب معسكرات الانجليز ؟ ورد المعلم حمودة فى هدوء .. لأ .. المعسكرات فين والسوق فين .. السوق جنبنا هنا .. عدت أسأله من جديد .. أمال هياخدوا المدافع ليه ؟ رد حمودة فى صوت خفيض .. أصل دى عالم تخاف ما تختشيش ..

كانت الأصناف والكميات التى عاد بها عساكر المعلم حمودة من السوق تثبت نظرية حمودة فى الناس التى تخاف ما تختشيش .. فلم تكن الكميات التى أحضروها تناسب الفلوس التى أخذوها من حمودة .. المهم إن الجميع انشغلوا فى إعداد المائدة وإحضار الماء المثلج. ونزل الجميع على المائدة كالمجانين. وبعد أن انتهى الجميع من الغداء، جلسنا نشرب الشاى .. شاى أسود محلى بكميات هائلة من السكر .. وبعد أن انتهينا من الشاى صرخ حمودة فى جيشه .. اجمع بالسلاح ! كان العبدالله قد شعر برغبة شديدة فى النوم، فقلت للمعلم حمودة .. بلاش الاستعراض النهاردة .. خليه بكره أحسن .. سألنى حمودة .. ليه ؟ أجبته .. أنا عاوز أروح اللوكاندة أنام .. رد على العبدالله قائلا فى استنكار .. نوم إيه وبتاع إيه .. هو دا وقت نوم .. نهضت من مقعدى على الفور وقلت للمعلم حمودة أنا مش هحارب الانجليز.. أنا هكتب بس ..

عندما رأى المعلم حمودة إصرارى على مغادرة المكان، أمر جنوده بالانصراف، ونهض حاملا مدفعه على كتفه وراح يحجل ورائى حتى تقدمنى بخطوات، وقطعنا الطريق إلى الفندق فى صمت أول الأمر، ثم قطعه حموده قائلا .. من غير مؤاخذة هتكتبت عنا أمتى ؟قلت له .. بس لما أشوف حاجة الأول يامعلم حمودة. قال وهو ينظر نحوى بعيون كعيون السمكة

الميتة .. ما أنت شفت .. قلت له .. لأ أنا قصدى لما أشوف شغل .. أشوف حرب ضد الانجليز .. هتف واثقا من نفسه .. دا أنت ياما هتشوف .. بس لما القمر يغطس .. وعندما بدا على وجهى عدم الفهم، أستأنف حديثه قائلا .. أنا تشوفنى هنا لما القمر يكون بدر .. لما القمر يغطس تلقانى فى الجبل .. واللى خلق الخلق محسوبك اللى أنت شايفه قدامك لازم يشعللها حريقة بإذن الله، ثم فجأة نفخ نفخة حارة وطويلة وهتف .. بس آه ياناارى !

سألته عما يعنيه قال.. الحكومة بتاعتنا دى .. أنا ياأستاذ إللى زيى بيأخد الشىء الفلانى فى الجيش .. أنا قائد فرقة مش حاجة هينة .. تعرف تقوللى الحكومة بتساعدنى بإيه ؟ حتى السلاح اللى معانا أنا اللى بشتريه .. والأكل اللى كلناه أنا اللى دافع حقه قدامك .. مش أصول الحكومة تقول تعال ياحمودة، أنت تحارب ومالكش دعوة، فلوس إحنا حاضرين، أكل إحنا حاضرين، لبس إحنا حاضرين، ثم ضرب جبهته بكف يده وقال .. بذمتك ياأستاذ يخلصك أمشى على رجلى بالشكل دا. طب يدونا حتة عربية أستعملها وعربية أتوبيس للعيال «الفداويين» .. والا خسارة فينا ؟

ماتكتب ياأستاذ ع الحاجات الوحشة دى !

قلت للمعلم حمودة .. أنت راجل فدائى، والفدائى ده بيشتغل لله. نظر نحوى نظرة تحمل كثيرا من المعانى وقال .. أنت هتعمل زى الأفندية اللى لابسين نظارات، أنت راجل ابن بلد زينا وبتفهم، فداوى إيه اللى بيشتغل ببلاش ؟ ثم أنا طالب إيه ؟ أنا طالب سلاح وعربية وشوية فلوس يسندوا ظهرى ضد الانجليز، ينشروا صورتنا واحنا ماشيين دلوقت ويقولوا اهو دا القائد بتاع وحوش الجبال .. وماشى على رجله. يخلصك ياأستاذ ؟ وعدت حمودة خيراً وتخلصت من صحبته بصعوبة ودخلت غرفتى فى اللوكاندة ونمت نوماً عميقاً واستيقظت على صوت طلقات رصاص راحت تمزق السكون والفضاء بين الحين والحين. أرتديت ملابسى وأسرعت بالنزول إلى الشارع. ولكن الرصاص كان قد توقف وساد الهدوء من جديد، ثم علمت بعد ذلك أن معركة قصيرة نشبت بين عساكر الشرطة وعساكر الاحتلال، وأن جندياً واحداً من الشرطة استشهد عند مدخل السويس، وفى اليوم التالى فوجئت وأنا على مائدة الإفطار فى فندق بلير بالمعلم حمودة والمدفع على كتفه. ودعوته لتناول الإفطار فجلس ثم سألته عما يقصده.

ورد فى غيظ خيبة تقيلة ، قوى عربية انجليزى فيها ٤ عساكر انجليز عاوزين يعدوا فوق الهويس ، راحوا ضاربين العسكرى بالنار ، مات ، وراحو ماشيين ، دا اسمه كلام ؟ الذخيرة اللى طقطقوها فى الهوا مش أحنا أولى بيها ، لو كانوا بعتولى عربية ساعة ماقتلوا العسكرى كنت خدت الرجالة بتوعنا وطلعت جرى على هناك ، تصدق بالله ، مايكفينى عشر عساكر انجليزى فى العسكرى بتاعنا ، أنا عاوز تكتب كده ، لازم نكتب كده ، أنا هاشترى الجورنال بكرة ، وعاوز تقول كده.

وفى اليوم التالى عاتبنى المعلم حمودة لأنه اشترى الجورنال ولم يجد فيه الكلام الذى أملاه ، وثار ثورة عارمة عندما أفهمته بالعربى الفصيح أننى لن أكتب شيئا إلا عن العمليات التى تقوم بها الكتيبة ضد معسكرات الجيش الانجليزى . وصرخت فى وجه حمودة قائلا .. ياحمودة أطلع روح عند المعسكرات واضرب العساكر الانجليز وأنا هاكتب اسمك مانشيت فى الصفحة الأولى . رد حمودة ببرود .. إيوه يا حدق ، أنا أروح أحارب الانجليز وأموت وأنت تكتب وتسترزق ، فاكرنى خشنى أنا ، إيه رأيك بقى أنا مش طالع الجبل ومش هاموت انجليز ، روح هاتلى أجدع انجليزى هنا وأنا أدبحه قدامك !! قلت لحمودة ونظراتى إليه تحمل كثيراً من المعانى .. أنا اللى هاروح أجيبلك أجدع انجليزى عشان تدبحه هنا ؟ طب ماتشتغل انت صحفى وأنا أبقى فدائى ، أنت بتقول كلام فارغ ياحمودة ، سلام عليكو . وعبثا حاول حمودة أن يحول بينى وبين الانصراف ، فقد ذهبت مسرعاً وغاضباً . ولعل ذلك هو الذى دفعه للحضور إلى حجرتى فى الفندق فى الصباح الباكر . جاء لكى يودعنى قبل أن يزحف برجاله نحو الجبل !!

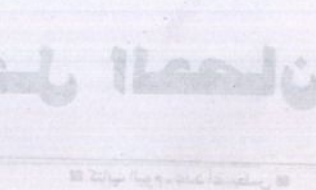


الرجل الحصان

قبل قيام ثورة يوليو ، وفى عام ١٩٥٠ على وجه التحديد ، عملت فترة من الوقت فى مجلة «الستار» التى كان يصدرها الأستاذ شفيق مرشاق، وكان يرأس تحريرها الاستاذ الكبير مأمون الشناوى ، والكاتب الكبير المرحوم ابراهيم الوردانى ، أما هيئة التحرير فكانت مكونة من أربعة : فنان الكاريكاتير المرحوم رمزى ، ويوسف فكرى سكرتير تحرير للمطبعة ، والكاتب الصحفى الذى فقدته مصر ومهنة الصحافة المرحوم صلاح حافظ والعبدلله.

وكان على العبدلله واجب تحرير عدة أبواب بالمجلة من بينها باب بعنوان «أغرب القضايا» . وكان من عادتى أن أجلس على مكتبى فى حضور رئيس التحرير مأمون الشناوى واقوم بتاليف عدد من القضايا الغريبة التى تشد انتباه القارىء وتثير خياله ، ولكنها فى النهاية مجرد قصص ليس لها أصل فى الواقع . واستطيع أن أقول إن كل ما كتبته فى الباب المذكور يصلح لتحويله إلى مسلسلات للتليفزيونات العربية ، حيث إنها كانت تحتوى على الوان التشويق من كر إلى فر إلى قتل بالجملة إلى رقص شرقى وهز بطن .

وذات يوم سرح خيالى إلى بعيد ، كتبت تفاصيل قضية خيالية عن نزاع



بين عائلتين من أكبر عائلات الصعيد وبينهما ثار تمتد جذوره فى بطن التاريخ إلى زمن طويل . ولكن الأمور تطورت بين العائلتين ، عندما أحب فتى من العائلة الأولى فتاة من العائلة الثانية وعندما اكتشفت العائلتان هذه العلاقة الغرامية وقعت الواقعة وانطلق الرصاص وسال الدم أنهارا وتطورت الامور إلى أسوأ ،فزحفت ميليشيات أحدى العائلتين على قرى العائلة الأخرى واحتلت أرضها وأسرت عددا من أفرادها ، وحلق خيالى بعيدا فقلت إن هناك وسيطا من عائلة ثالثة يقوم با لمفاوضات بين العائلتين على طريقة برنادوت كوسيط بين العرب واليهود ! وأطلعت مأمون الشناوى على السطور بسرعة ثم قال بعصبية .

ـ انت كاتب لى قصة روميو وجولييت !؟

فأجبته باسما :

ـ إيوه بس روميو وجولييت صعايدة ولم يضحك مأمون الشناوى للنكتة وقال :

ـ يا أخى شوف واحد محامى صاحبك هات منه قضايا حقيقية أو اتصل بيه فى التليفون . ووعدت مأمون الشناوى خيرا ، على أن يبدأ هذا النشاط فى الاسبوع المقبل . فى الاسبوع التالى اتصلت بأحد المحامين الاصدقاء فأملانى عدة سطور عن قضية غريبة ، بطلها أحد المطربين ويدعى فايد محمد فايد كانت شهرته محدودة فى مصر ولكنه كان ذائع الصيت فى دول الشمال الافريقى .

وفى رحلة قام بها إلى تونس أخيرا ، أحيا خلالها عدة حفلات فى العاصمة وفى سوسة وصفاقص ، بعدها تشرف بمقابلة باى تونس الذى أهداه نيشانا رفيعا مرصعا بالذهب والماس ، وعندما عاد المطرب إلى القاهرة التقى برجل كان يمد الصحف الاسبوعية الصغيرة ببعض الأخبار من هنا ، وهناك مقابل مكافآت مالية صغيرة ، بالإضافة إلى عمل آخر كان يقوم به إلى جانب هذا العمل ، وهو بيع العطور لركاب الدرجة الثالثة فى قطارات وجه بحرى ، وكان طويلا عريضا متين البنيان يمسك بين أصابعه بعصا من الكريز كان يتوكأ عليها أحيانا ويخوض بها المعارك فى بعض الأحيان .

وأجرى الرجل إياه حديثا مع المطرب ووعده بنشره فى عدة صحف ،

وعندما وقع بصره على النيشان المرصع بالذهب والماس ، أقنع المطرب بضرورة نشر النيشان مع الحديث ، لكى يقتنع القراء بجدية الإنعام السامى من باى تونس تقديرا لفن المطرب الموهوب ! وعندما سأل المطرب صاحبنا إياه عن الطريقة التى يمكن نشر النيشان بها فى الصحف ، أجابه بأن الطريقة الوحيدة هى عمل إكليشيه للنيشان فى ورشة حفر زنكوغراف ، واقتنع المطرب فسلم الرجل النيشان وعشرين جنيها كمقدم لتغطية مصاريف الزنكوغراف والنشر ، ووعده بمبلغ آخر بعد نشر الحديث فى الصحف !

ومرت شهور .. ولم يظهر الحديث فى الصحف وفشلت كل محاولات المطرب للعثور على الرجل والنيشان ، فسارع إلى مكتب المحامى وتقدم ببلاغ إلى النيابة متهما الرجل بالنصب وسرقه الوسام ، وأعجبت القضية مأمون الشناوى فافسح لها مكانا محترما با لمجلة وكافأنى على نشاطى الصحفى الكبير . وفى اليوم التالى لصدور المجلة كنت أجلس وحيدا على مكتبى فى الحجرة التى تضم صلاح حافظ ويوسف فكرى أيضا ، عندما فوجئت برجل يقف أمامى طويل عريض المنكبين على رأى عادل امام ، وبيده عصا منظرها يجبر أى شخص على احترام الرجل الذى يمسك بها . وسألنى الرجل بصوت أجش يشبه صوت الأسد فى السيرك :

ـ أنت محمود السعدنى ؟وتلعثمت فى البداية ثم تمالكت نفسى ونفيت بشدة أن أكون محمود السعدنى ، وعندما سألنى من أكون ؟ أجبته على الفور بأننى مدير التحرير ، وضرب الرجل عصاه فى الأرض بشدة وجلس على أقرب كرسى وأخرج من جيبه منديلا من قماش الكاكى الذى يستعمله عساكر الجيش وعيناه تطلقان شرارا وقال :

ـ طيب ازاى يا أستاذ يا مدير تحرير تسمح بنشر كلام فارغ زى ده يسىء إلى صحفى زيك ؟ ثم ضيق ما بين حاجبيه وقال للعبدش :

ـــ زيك ازاى ؟ أنت بقالك كام سنة صحفى ؟ ولما أجبته بأننى صحفى منذ ثلاث سنوات فقط نهض من فوق مقعده وراح يصرخ على طريقة شجيع المولد الذى يأكل النار والعه ويخلص نفسه بنفسه من القيود والاغلال .

ـ أنـا كنت صحفى قبل أنت مـاتتـولد ، وقبل رئيس التحرير بتـاعك مايتولـد ، أنا اشتغلت مع طه حسين فى الوادى ، واشتغلت مـع توفيق دياب فى الجهـاد ، واشتغلت مع عبـد القادر بـاشـا حمزة فى البـلاغ واشتغلت مع الخواجه ماكريوس فى اللطايف ، وبعد ده كله تكتبوا إن أنا نصاب !

ورحت أطيب خاطـر الرجل وطلبت له فنجان قهـوة سادة حسب طلبه ، ولكنه طلب زجاجة أسباتس قبل القهـوة ، وأعطيت النصف فرنك الذى كان فى جيبى للفراش لاحضـار زجاجـة اسباتس «ساقعـة» من الدكـان المقابل للمجلة ، والغريب أنـه وضع الزجاجة فى فمه ولم يعـدها إلا بعد أن أصبحت فارغـة كفؤاد أم مـوسى ، ثم تجشأ بصوت مسموع ، ثـم راح يرتشف من فنجـان القهوة بمـزاج وبشـوق شـديد ، ثم قـال بعـد أن انتهى من رشف القهوة، ولم ينس أن يدق بالعصى على الأرض قبل أن يقول :

— ودلوقتى إيه العمل ؟

وحاولت أن ابدو شجـاعا أمامه ، فى الوقت الذى كـانت فيه كل فرائصى ترتعد .

— الحكاية دى بسيطة قوى وهنشوف لها حل ، ثم مش دى المشكلة .

وقال الرجل الحصان وهو ينفخ من شدة الغيظ :

— أمال هى إيه المشكلة ؟

— المشكلة ياسيدى إن خبرة طويلة زيك لازم تتعاون معانا .

أعجبه المدخل فاستند بذقنه على رأس العصا وقال :

— إزاى ؟

قلت له وأنا أشرح له الصفقة :

— تزودنا باخبار وطرائف وأحاديث وتبقى محرر فى المجلة .

قال وقد اقترب أكثر من المكتب الذى كنت أجلس عليه :

— وبكام ؟

قلت بدون تردد :

— بعشرة جنيه .

كان هذا هـو مرتب العبد لله فى ذلك الزمـان ، وكنت أعتقد أننى أغنى من عبـود بـاشا وأكثـر ثـراء ، من عثمان حيدر أباد ، ولكن الـرجل الحصـان

انتفض فجأة واقفـا رافعـا العصـا إلى أعلى ممـا جعلنى أرفع ذراعى فـوق رأسى لأتلقى الضربة الأولى وبـالطبع الضربة العاشرة أيضـا ! ولكن الرجل الحصان لم يضرب ولكنه اكتفى بالكلام ـ قال صائحا :

أنـا كنت باخـد عشرة جنيه ، فى الـوادى مع طه حسين لما كـانت العشرة جنيه تشترى بيت ، كان أحسن فدان أرض فى المنوفية بعشرين جنيه ، يعنى كنت أقدر اشترى فدان كل شهر ، دلوقتى جاى تقول خد عشرة جنيه !

قلت له مستسلما :

— خليهم ١٥ و ... قاطعنى قائلا :

— خليهم ٢٠

— مافيش مانع .

وأمسكت بـورقة بيضـاء أجريت القلم عليهـا وحررت عقـدا بين مدير التحرير سمير نيقـولا والأستاذ حسن الشابورى المحـرر الصحفى مقابل مكافأة شـاملة قدرهـا عشرون جنيها شهريـا لقاء تقديم أخبـار وأحاديث وطـرائف لمجلـة الستـار . ووقعت على العقـد ووقع وهـو الآخـر وسلمت الصفحة لـلأستاذ الشابـورى ، على أن يحضر بها فى الغد ليقدمهـا للادارة لاعتمادها ، حيث إن اليـوم أجازة ، وطـوى الرجل الـورقة ودسهـا فى جيبه وانصرف يدق الأرض بعصاه .

فى اليوم التالى وصل الأستـاذ الشابورى فوجد صـاحب المجلة فى مكتبه وأراد أن يقـابلـه فمنعه السكـرتير ، فـراح يصرخ كـالمجنون فسمحـوا لـه بـالـدخول ، ولم يفهم الـرجل صـاحب الجريـدة شيئا ممـا رواه الأستـاذ الشابورى وتصـور أنه مجنون ، فأمهله حتى يأتى أحد رؤسـاء التحرير ، فجلس الأستاذ الشـابورى فى مكتب السكرتير حتى حضر الأستـاذ ابراهيم الوردانى ، وكان ابـراهيم الوردانى فنانا رقيقـا ومسـالما ، فما إن استمع إلى القصة حتى استغرق فى الضحك وقال للشابورى : ان الذى كتب معك العقد هو السعـدنى وهو الذى نشر الخبر . وقـام الرجل وثـار وهـدد بسحق رأس السعدنى وأكبر رأس فى المجلة إذا لـزم الأمر ، ومن حسن الحظ ان الوردانى كان يعـرف الرجل من قبل ، وكـان يلتقى به فى مكـاتب بعض الصحف وفى نادى الصحفيين قبل أن يتحـول النادى إلى نقابة ، وكـان الوردانى يعلم أن

الرجل فرض نفسه على عدة صحف بالتهديد والتلويح باستخدام القوة ، وأنه كان يختار الصحف التى يصدرها شوام ولبنانيون ويونانيون وطلاينة وكان هؤلاء يضطرون إلى اسكاته مقابل خمسة جنيهات ، وتركه الوردانى فى مكتبه ودخل إلى شفيق مرشاق صاحب المجلة ، وأقنعه باستخدام الرجل مقابل مكافأة قدرها ١٠ جنيهات شهرية ، نظير سكوته وعدم رفع قضية على المجلة ، ووافق صاحب المجلة وانتهى الاشكال ، أقصد الاشكال مع المجلة وليس مع العبد لله ،

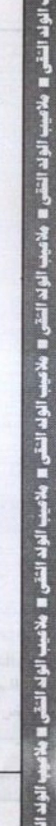
المهم أن الأستاذ الشابورى أوالرجل الحصان ، كان يحضر كل يوم إلى المجلة فى العاشرة صباحا ، يشرب الشاى والقهوة على حساب من يوجد من المحررين ثم ينصرف فى الثانية عشرة ظهرا . وكان العبد لله يذهب إلى المجلة من الواحدة ظهرا وحتى المغرب وأول مرة رآنى فيها مأمون الشناوى بعد هذه الحادثة صاح فى وجهى :

— انت ما تخرجش أبدا من المجلة وما ترحش للمحامين تتصل بيهم ، اقعد على المكتب وفبرك قضايا وبس كفاية المصيبة اللى انت جبتها لنا . المهم اننى واظبت على المواعيد التى حددتها بنفسى .. أذهب إلى المجلة فى الواحدة ظهرا ، وأغادر فى السادسة مساء ، ولكن لأن الجرة ماتسلمش فى كل مرة فقد اخطأت فى الحساب وذهبت إلى المجلة فى الواحدة كالعادة ، ودخلت إلى المكتبة فوجدت صلاح حافظ هناك ، ورحت أمزح معه كالعادة ، ولكن لاحظت اضطرابا على وجه صلاح حافظ ، فنظرت خلفى فوجدت الرجل الحصان واقفا كالفيل ورائى ، وقبل أن يبدأ أى سلام أو كلام أطلقت ساقى للريح خارجا من المجلة فى سرعة الوعل ورشاقة الغزال وانطلق هو الآخر خلفى ولكن هيهات ،

كانت المجلة تشغل شقة فى عمارة بشارع دوبريه وسط القاهرة وهو من الشوارع المزدحمة خصوصا فى فترة الظهيرة فقفزت من الرصيف إلى الرصيف المقابل كأننى رامبو متفاديا عشرات السيارات التى كانت تمرق كالسهام على جانبى الشارع . ولشدة غيظ الأستاذ الشابورى، ولرغبته الشديدة فى الانتقام منى ، تعقبنى فى وسط الشارع ، ولكن لحسن الحظ

لطشته سيارة فألقت به على الأرض وكسرت ساقه ، ولكنى ذهبت إليه فى المستشفى فى صحبة صلاح حافظ وأخذت له علبة شوكلاته ، وكانت ساقه فى الجبس ومربوطة أعلى السرير ، وصالحت عمنا الشابورى ومنحنى عفوه ثم رضاه ، ولم يخرج من المستشفى إلا بعد ثلاثة شهور ، وكان يتوكأ على العصا التى كان يخيف بها الناس ، وبعد خروجه من المستشفى بشهرين أغلقت مجلة الستار أبوابها ، وانقطعت مكافأته منها ، وانقطعت أخباره عنى فلم تقع عينى عليه بعد ذلك فى أى مكان !











شكة الشوكة بذنب



وإلى مجلة التحرير انتقل العبد لله حيث كان أحمد قاسم جودة يعمل فى نفس الوقت رئيسا لتحرير الجمهورية مع ابراهيم نوار وجلال الحمامصى وحسين فهمى ، ولذلك عهد الى بمهمة ادارة تحرير مجلة التحرير والرجوع اليه اذا اقتضت الضرورة ذلك ، فى تلك الأثناء شهد العبد لله مولد العديد من الصحفيين الذين اشتهروا بعد ذلك ، اذكر منهم محمود المراغى والسيدة نجاح عمر ومفيد فوزى ، واكتشفت اثناء تجوالى فى حى الحسين جمعية تطلق على نفسها اسم «حتى شكة الشوكة بذنب» اتصلت برئيس الجمعية فى صباح اليوم التالى وطلبت منه أن يسمح لى باجراء حديث صحفى معه ورحب الرجل على الفور وحضر بنفسه الى المجلة بعد الظهر وأجريت معه الحديث ، ونشرته فى العدد التالى .

ولكن رئيس الجمعية احتج بشدة لأننى وصفت الجمعية بكلمات ساخرة ، ولأن الحديث كله كتب بلهجة ساخرة ، ووعدت رئيس الجمعية باجراء حديث آخر معه فى اليوم التالى لأكفر عن جريمتى فى الحديث السابق ووافق الرجل وحضر بالفعل وكنت قد طلبت من الفنان أبو العينين والفنان



بيجو يرحمه الله أن يحضرا الى الجريدة فى نفس الموعد ، واكتشفت ان رئيس الجمعية لايعرف أبو لمعة وبيجو ولم يسمع بهما من قبل !

وجرى الحوار بين رئيس الجمعية من جهة والخواجا بيجو وأبولمعة من جهة ثانية ، وشعر رئيس الجمعية بعد فترة اننا نحاول السخرية منه ومن الجمعية فتوقف عن الكلام فجأة ، وقال موجها حديثه للعبدلله :

● اذا كان فى نيتك السخرية منى أو من الجمعية فستصيبك مصيبة كبرى باذن الله .

قلت للشيخ رئيس الجمعية :

ـ وده معقول نسخر منك يامولانا ..

● على العموم أنا قلت لك وأنت حر .. لو حاولت تسخر منى ح تجيلك مصيبة الأسبوع ده .

وطيبت خاطر رئيس الجمعية وانتهينا من اجراء الحديث ونشرناه فى العدد التالى بعنوان «رئيس حتى شكة الشوكةبذنب يقابل الخواجا بيجو وأبولمعة» وكان الحديث مسخرة بالطبع تجلت فيه مواهب الخواجا بيجو وأبو لمعة فى فن الفرفشة والاضحاك .

وفى نفس العدد الذى ضم الحديث كتب العبدلله كلمة عن المرحوم فريد الأطرش تناولت فيه الدروز وجبل الدروز وعائلة الأطرش كلها ، وفى اليوم التالى لصدور عدد مجلة التحرير استدعانى فوزى عبد الحافظ لمقابلة القائمقام أنور السادات ، وتصورت ان حديث «حتى شكة الشوكة» مع الخواجة بيجو قد أعجبه وذهبت لمقابلة القائمقام أنور السادات وعندى أمل فى الحصول على مكافأة سخية أو علاوة مجزية يتحدث بذكرها الركبان والذين يمشون على الأقدام .

وعندما أصبحت أمام مكتب أنور السادات ألقيت عليه التحية ولكنه لم يرد التحية فقد كان منشغلا بقراءة بعض الأوراق وتركنى واقفا أمامه فترة قبل أن يلقى بالأوراق جانبا ثم أمسك بين أصابعه بالعدد الأخير من مجلة التحرير وقال بعصبية شديدة :

● ايه الكلام الفارغ اللى انت كاتبه ده ؟!

وتصورت ان الذى أغضبه هو الحديث مع رئيس «حتى شكة الشوكة بذنب» فقلت له :

ـ ده موضوع خفيف لأن العدد تقيل ..

● أنا بكلمك على موضوع فريد الأطراش .. أنت بتهاجم مطرب ، ومالك ومال الدروز ..

حاولت الكلام ولكنه صرخ فى وجهى :

● انت موقوف ..

قلت له وأنا فى طريقى خارج مكتبه :

ـ طيب .

صرخ مرة أخرى بشدة وقال :

● انت مرفوت .

لم أنطق بحرف وغادرت مكتبه وسمعت وأنا أهبط على السلالم صوت الصاغ فوزى عبد الحافظ ينادينى فصعدت السلالم من جديد وقال لى الصاغ فوزى :

● القائمقام عاوزك .

وعندما هممت بالدخول منعنى الصاغ فوزى قائلا :

● خليك عندى هنا .

وجلست فى مكتب الصاغ فوزى قرابة نصف الساعة قبل أن يخرج القائمقام أنور السادات فوقف فوزى ووقفت معه فنظر نحوى وهو فى طريقه مسرعا وقال :

● انت موقوف .

وقضيت ستة أشهر موقوفا عن العمل ممنوعا من دخول الجريدة ، ولكنى أصرف مرتبى كل شهر ويصلنى عدد المجلة كل اسبوع . وفجأة جاء كامل الشناوى رئيسا لتحرير الجمهورية مع أحمد قاسم جودة والحمامصى وحسين فهمى .

وفى أول اجتماع لهيئة التحريربعد عودة كامل الشناوى قال كامل للقائمقام أنور السادات : كان فيه عندكم هنا شاب صحفى كان ممكن الواحد يعمل معاه شغل كثير لولا انه مات الى رحمه الله ، وتساءل القائمقام أنور السادات :

● مين الشاب اللى مات هنا ده ياكامل . وعندما ذكر له كامل الشناوى

اسمى ، قال السادات :

● ده عايش وزى القرد ، أنا وقفته عن العمل ، أصل لسانه طويل قوى .

وقال له كامل الشناوى :

ـ احنا نجيبه ونقطع لسانه .

قال القائمقام :

● تضمنه ياكامل بيه ؟

ـ أضمنه ..

وذهبت فى صباح اليوم التالى وقابلت كامل الشناوى وقضيت ساعات العمل كلها فى مكتبه ، وفى المساء بدأ ضيوف كامل الشناوى يتوافدون على دار الجريدة ، عبد الحليم حافظ وكمال الملاخ واحسان عبد القدوس وأحمد عطية الألفى، وخلال الحديث الممتع الذى جرى بين كامل وضيوفه دخل القائمقام أنور السادات مكتب كامل الشناوى وصافح الحاضرين جميعا وأنا منهم وسألنى فى ود شديد :

● ازيك يا محمود ؟

ـ الله يحفظك يافندى .

● ح تشتغل مع كامل بيه .. بس اياك تغلط تانى ح اقص لسانك ..

ثم قهقه عاليا وقضى بعض الوقت فى حجرة كامل الشناوى ثم اعتذر وانصرف .

واشتغلت مع كامل الشناوى خمس سنوات كاملة لم أخطىء فيها الاقليلا ، وقد أوفدنى فى رحلة الى الجزائر وكنا فى بداية عام ١٩٥٦ وذهبت الى مدريد لمقابلة السنيور «انخى» وهو الاسم الحركى لمندوب جبهة التحرير الجزائرية فى مدريد ، ولأن العبدلله غشيم حينذاك فى أسماء الفنادق وطبقاتها فقد نزلت من أوتوبيس المطار ليتلقفنى شيال أسبانى مدرب سحبنى وراءه الى فندق قريب ، كان الفندق غاية فى الأناقة والفخامة وعندما دخلت الحجرة وقبل أن أخلع ملابسى طرق مجهول الباب طرقات خفيفة وعندما فتحت رأيت رجلا مهيبا فى ثياب رسمية سوداء وكأنه على وشك الذهاب الى حفلة ساهرة وكان يجر أمامه عربة محملة بأنواع كثيرة من الفواكه وباقة ورد صغيرة ،وتصورت انه محافظ مدريد قادم لتحيتى

باعتبارى أحد المستثمرين الكبار فقد كان فى جيبى مائة وعشرون جنيها وهناك مبلغ مائتى جنيه فى الطريق الى العبد لله عن طريق البنك !

ولكن المحافظ ترك العربة فى الحجرة وانصرف فى هدوء وبعد أن حلقت ذقنى وأخذت حماما وارتديت البدلة كاملة والكرافت السولكا التى كان يرتديها الملك فاروق يوما ما ، وهى ليست نكتة ولكنها حقيقة ، فقد كلفنى المرحوم كامل الشناوى بصياغة مذكرات كريم ثابت باشا المستشار الصحفى للملك فاروق بعد أن اعتذر عن عدم كتابتها هو شخصيا بسبب مرض شديد فى ذراعه يعوقه عن الكتابة .. وهى حركة ذكية من كريم ثابت فقد كنا فى بداية الثورة وكان أغلب رجال العهد البائد يأملون فى عودة الملك مرة أخرى ، وأعتقد ان كريم ثابت من بين هؤلاء ولذلك قبل أن ينشر مذكراته على أن يصوغها أحد آخر بقلمه حتى اذا حدث ما لا تحمد عقباه وعاد الملك فاروق الى عرشه مرة أخرى يكون كريم ثابت فى مأمن من الانتقام فهو لم يكتب ولكنه أجبر على الكتابة ، والدليل ان المذكرات مكتوبة بأسلوب وبخط يد صحفى آخر . المهم أننى بعد أن انتهيت من كتابة المذكرات والتى قضيت من أجل كتابتها ٣٠ ساعة كاملة مع كريم ثابت باشا على مدى خمسة عشر يوما ، جاءنى الباشا فى آخر لقاء وقال لى :

● مذكراتك رائعة .

قاطعته قائلا :

ـ ولكنها مذكراتك يا باشا ..

● طبعا .. طبعا .. بس ده اسلوبك مش اسلوبى أنا ، ولو أنا كتبتها ما كنتش كتبتها أحسن من كده ..

وشكرت الباشا على إطرائه للعبد لله وحاولت الانصراف ولكنه قال لى :

● عاوز أقدم لك هدية .. لكن ظروفى لم تعد تسمح .. فأنا تحت الحراسة ، ويصرفون لى مائة جنيه كل شهر .

فقلت له ضاحكا :

ـ اذن أنا اللى يجب أديلك هدية ..

قال الباشا مداعبا :

● سيبك من البكش ده .. أنا ح أديلك هدية وهى هدية ثمينة لأنها بتحمل ذكرى معينة ..

ثم راح الباشا يحكى قصة الهدية :

● استدعانى الملك فى أحد الأيام وتأخرت عليه بعض الوقت وعندما ذهبت اليه فى القصر سألنى عن سبب تأخرى فقلت له لاتؤاخذنى ياجلالة الملك فاليوم هو عيد ميلادى فاستبقانى على الغداء ثم سحبنى من يدى الى دولاب كرافتاته وقال هذه دستة كرافتات سولكا هديتى لك وصمت الباشا فترة ثم قال :

● هذه الكرافتات أنا أهديت منها ستا لأحد أصدقائى واستعملت اثنتين منها ولم يبق الا اربع هى هديتى لك ..

حاولت التملص منه لكنه أصر .. فأخذت الكرافتات وذهبت الى كامل الشناوى وأخبرته بما جرى .. وكان كامل الشناوى يهوى الكرافتات ويعتبر من الخبراء فى أنواعها وألوانها .. واختبر الكرافتات التى معى ونظر للعبد لله وقال :

● أنا مستعد أفكها لك ..

سألته عن فك الكرافتات وكيف يكون .. فقال :

● الأربعة دول بـ ١٢ كرافتة اراجانس .. ايه رأيك ؟

قلت للمرحوم كامل الشناوى :

- خلاص هى هدية لك .

ولكن كامل الشناوى رفض وقال :

- أنا ح آخذ اتنين واسيبلك اتنين وحديلك ٦ كرافتات ارجانس ..

وعندما حاولت مناقشته طلب منى مغادرة الغرفة لأنه مشغول بكتابة مقاله اليومى ، وبالفعل أخذ كامل الشناوى كرافتتين وجاءنى فى اليوم التالى بنصف دستة كرافتات «ارجانس» وقد ارتديت احدى كرافتات الملك فى يوم زواجى وأعطيت الأخرى الى محمد مبدى المحامى ، فقد تزوجنا معا

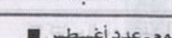
فى يوم واحد من شقيقتين فى مدينة الاسماعيلية ، وظلت هذه الكرافتة اليتيمة فى حوزتى حتى تحولت الى شىء أشبه بفردة الشراب ولقيت كرافتة الملك نهاية أليمة كما حدث لصاحبها فيما بعد !

على العموم كان حديثنا عن الفندق الفخيم فى قلب مدريد عندما ارتديت ملابس كاملة ونزلت الى بهو الفندق ودخلت الى بار وجلست على كرسى عال ثم رحت اتلفت حولى وهالنى أن أجد بين الحضور صديقا من أصدقائى الحميمين ، هذا الرجل الجالس فى بار الفندق أنا أعرفه معرفة وثيقة ، وأنا بالتأكيد تعرفت اليه مع زكريا الحجاوى أو كامل الشناوى أوالشيخ عبد الحميد قطامش ، ولكنه يبدو الآن أكثر شيبا وأكثر ارهاقا من ذى قبل ، ولكن أين رأيته وأين جلست معه وما اسمه ؟ كل هذه المعلومات ضاعت من ذاكرتى للأسف الشديد ،

لجأت الى طريقة سخيفة لعله يتذكرنى ، كنت أنظر اليه فاذا تلاقت نظراته بنظراتى فتحت فمى عن ابتسامة عريضة ولكنه بعد مرتين أو ثلاث مرات بدأ يتحاشى النظر نحوى ، وأغلب الظن انه اعتقد اننى مجنون خارج لتوى من مستشفى الخانكة ، ولذلك أعطانى ظهره عملا بالمثل القائل «الباب اللى يجيلك منه الريح سده واستريح» فكرت فى طريقة أخرى لأنعش ذاكراته ولكنى خشيت أن يسىء الظن بى فيستدعى البوليس أو يغادر الفندق كله ، جلست على البار أدعك فى جبهتى دعكا شديدا أحاول أن أعود بذاكرتى الى الوراء وأفتش عن زوايا الماضى فى محاولة للكشف عن هوية صديقى الذى التقيته بالتأكيد أكثر من ٢٠ مرة ، وعشت معه ساعات طويلة ، ولاحظ البارمان ان العبد لله سارح بعيدا أو مشغول ومهموم فسألنى اذا كان هناك شىء يقلقنى أو أعانى من مرض مفاجىء فنفيت له أن يكون بى شىء من هذا ، وحكيت له حكايتى مع صديقى الذى أعرفه حق المعرفة ولكنى لا أتذكر أين ومتى كيف رأيته أو تعرفت إليه وحتى اسمه نسيته .. فسألنى أين هذا الصديق الآن ؟ .. أجبته بأنه يجلس بجوارى وعلى مقربة منى ، وأشرت له على الصديق الذى حيرنى أمره ونظر الرجل الى حيث أشرت ثم قهقه عاليا وقال فى دهشة شديدة :

● ألا تعرفه ؟

سألته مندهشا أنا الآخر :



ـ وهل تعرفه أنت ؟

قال بلهجة ساخرة :

● طبعا أعرفه .. والعالم كله يعرفه ..

قلت :

ـ ومن هو ؟

قال :

● انه تايرون باور.

هتفت مشدوها .. تايرون باور . ياقوة الله انه صديقى بالفعل عرفته فى سينما مترو ، جلست معه ساعات فى «دماء ورمال» وأعجبت به أيما اعجاب فى «حفر قناة السويس» وقضيت معه ساعات طويلة فى أفلام أخرى تألق فيها تايرون باور ، لقد اختلطت الحقيقة بالخيال وصارت الصورة صديقا للعبدلله وهى مسألة تثبت تأثير السينما الأمريكية على الناس فى كل مكان .. والعبدلله من جيل أدمن السينما الأمريكية فى عهد سينما «ستراند» حيث كانت تعرض ثلاثة أفلام بثلاثة قروش فى السهرة ، ولم تكن سينما «ستراند» من دور السينما الهلس التى كانت تعرض «مغامرات شاران» و«الشبح يقابل الرجل الذئب» و «مغامرات شيتا» ولكنها كانت تعرض أفلاما من نوع آخر وقدمت لجيلنا أفلاما من نوع «ذهب مع الريح» و «لمن تدق الأجراس» و «أفضل أيام حياتنا» و «صرخة المدينة» وقدمت لنا أبطالا من طراز كلارك جيبل وروبرت تايلور وادوارد جى روبرسون وولس بيرى وايميل جاننج وتايرون باور وجارى كوبر .. وقدمت لنا بطلات من نوع هيدى لامار وجريتا جاربو وانجريد برجمان وبربارا ستانويل وبيتى ديفيز .. ولكن سينما «ستراند» التى علمتنا وألهمتنا كانت السبب فى حادث غير سعيد للعبدلله كدت أذهب بسببه فى ستين داهية وأضيع فى الكازوزة لولا كامل الشناوى الذى تدخل فى الوقت المناسب لانقاذ العبدلله.







تولوستوى فى استراند

كان معنا في الجريدة زميل صحفي هو الاستاذ «سامى الرافعى» وكان مندوب الجريدة في مجلس الوزراء . وكان عبد الناصر هو رئيس المجلس في ذلك الوقت .

وحدث ذات مساء ان حضر الى دار الجريدة متأخرا ودخل مكتب كامل الشناوى الذى سأله عن سبب تأخيره ، فأجاب الرافعى بأنه كان في السينما لمشاهده فيلم «الحب والسلام» ثم اضاف : بيقولوا المؤلف بتاع الفيلم راجل روسى كبير !!

كان «سامى الرافعى» يقصد فيلم الحرب والسلام،وكان الروسى الكبير الذى يقصده هو الكاتب العالمى تولوستوى .

ولكن زميلنا الرافعى كانت كل اهتماماته منحصرة فيما يدور داخل مجلس الوزراء .

والتقط العبدلله الخيط وقررت تدبير ملعوب بقصد الضحك والفرفشة ليس الا ، فقلت للزميل الرافعى .. طب ليه ماعملتش حديث مع المؤلف الروسى الكبير ده ؟ ورد الزميل قائلا .. وأنا راح ألاقيه فين ؟ ثم أردف قائلا .. لكن هوه بيشتغل ايه بالضبط ؟ وقلت على الفور .. دا وزير التموين في روسيا . وعقب كامل الشناوى .. دا كان زمان الكلام ده ، دلوقت بقى وزير الانتاج الحربى !! وصاح الزميل الرافعى .. ياريت أقدر أعمل معاه

حديث ، بس هلاقيه فين ؟ قلت على الفور .. هو هنا فى مصر وفى زيارة سرية، لكن انا شفته الليلادى فى سينما ستراند ، لانها بتعرض فيلم تانى من تأليفه اسمه «أنا كارنينا» واضاف كامل الشناوى .. هوه ماحدش قالك ؟ وهز الرافعى رأسه بالنفى ..

وتدخلت مرة اخرى فى الحديث فقلت للرافعى .. على العموم هوه هيقابل عبد الناصر بعد بكرة .. والاخبار والاهرام عملوا احاديث وهاتنشر يوم المقابلة . هنا أصيب الأخ الرافعى بلوثة ، فقد كان يثور الى حد الجنون اذا سبقه زميل آخر الى خبر او حديث ، ونهض الرافعى وخرج من غرفة كامل الشناوى ثم عاد بعد قليل وسألنى .. طيب هوه فين دلوقت ؟ فقلت له .. هوه فى لوكاندة بعيدة ، واعتقد انه فى «مينا هاوس» امسك الرافعى بالتليفون بعد استئذان كامل الشناوى ادار القرص طالبا الفندق، ثم التفت نحو العبد لله وقال .. اسمه ايه ؟ قلت .. تولوستوى ..

بعد لحظات قال الرافعى من خلال سماعة التليفون .. ادينى مستر تولوستوى ، لا انا ماعرفش رقم الغرفة لكن هوه نازل عندكو . بعد فترة صمت طويلة جاء الجواب بأنه لايوجد أحد بهذا الاسم فى الفندق . وضع الرافعى السماعة ونظر نحو العبدلله نظرة تحمل بعض الشك وتحمل كثيرا من الاستعطاف ،وقال اذا كنت عارف مكانه قوللى ، نصحت الأخ الرافعى بالاتصال بأحد فى المخابرات العامة لمعرفة مكانه . لزم الصمت فترة ثم أدار قرص التليفون واجرى اتصالا مع أحد الاشخاص ، وراح يعتذر فى البداية عن اتصاله فى هذا الوقت المتأخر ، ثم قال للمتحدث .. أنا اصلى مكلف من كامل الشناوى باجراء هذا الحديث ، وانا ما أقدرش أخالف اوامر كامل بيه .

ويبدو ان الشخص الذى اتصل به أخونا الرافعى كان يحتل منصبا رفيعا فى المخابرات ومن النوع الذى ينام مبكرا ، ويبدو ـ والله اعلم ـ انه وبخ الرافعى بكلمتين قبل ان يغلق السكة ، وجلس الرافعى يدعك فى جبهته وفى رأسه ، وبدأ العرق يتصبب من جبينه ثم قال لكامل الشناوى قبل ان ينهض من مكانه استعدادا للانصراف : أنا مش هاسكت الا لما اعمل حديث مع الراجل ده وان شاء بكرة الحديث هايكون على مكتب سعادتك .

فى مساء اليوم التالى كان زميلنا الرافعى يقف اسفل سلم مجلس الوزراء عندما خرج جمال عبد الناصر من مكتبه والتف حوله الصحفيون يسألونه عن نتائج لقائه مع أحد المسئولين البريطانيين ، ووصف عبد الناصر المقابلة بأنها كانت ودية وايجابية ، ثم راح ينزل السلم فى طريقه الى الخارج ، عندما فوجىء بزميلنا الرافعى امامه ، وضحك عبد الناصر ضحكة صافية وقال له .. كده يضحكوا عليك يا رافعى .. انت موش عارف يارافعى ان تولوستوى مات قبل احنا مانتولد ، وصرخ الرافعى قائلا : دا السعدنى ياريس الله يخرب بيته ، هو اللى ضحك علىّ وقاللى ان الراجل دا هنا .

انصرف عبد الناصر من مجلس الوزراء ، وجلس الرافعى مع بعض المسئولين فى مجلس الوزراء وكان من بينهم بالطبع ضباط مخابرات وضباط أمن ، وراح الرافعى يبرر لهم فعلته ، ووصف العبدلله بأنه بتاع مقالب ، وانه بيفول على الريس ، ومدام بيقول ان الريس هايقابل تولوستوى يبقى قصده ان الريس هايموت ! قبل وصول الرافعى الى مكتب كامل الشناوى فى المساء كانت الاخبار قد وصلتنا عن طريق مندوبى الصحف الاخرى ، فما إن دخل مكتب كامل الشناوى حتى بادره قائلا .. الاخبار ايه يا رافعى ، الريس قالك ايه ؟ ورد الرافعى على الفور على فكرة ياكامل بيه الحكاية دى مش هاتفوت على خير ، الجماعة هناك زعلوا قوى وقالوا ان السعدنى بيفول على سيادة الريس . وقال له كامل الشناوى على الفور .. هم اللى قالوا والا انت اللى قلت ؟ وضربت لخمة مع الأخ الرافعى فراح يقول كلاما بلا معنى ، وبعد فترة قصيرة غادر المكتب ، ولكنه توقف قليلا عند الباب ونظر للعبدلله وقال : على العموم اللى انت عملته فيه ده هايتردلك ، قالها بلهجة تهديدية مسددا نحوى نظرة ملتهبة ، وكأنه يشفع انذاره الشفوى بحركات عملية .

بعد انصرافه لعب الفار فى عب العبدلله ، فقلت لكامل الشناوى .. ياكامل بيه انت شاهد ، احنا كنا بنهزر ، يظهر انها هاتنقلب جد . وسألنى كامل الشناوى وهو يشعل سيجارة .. وانت خايف من ايه ؟ فقلت له .. انت مش سامعه وهوه بيقول انى بافول على الريس ، وقال كامل بيه بهدوء .. مايقول على كيفه وهو الرافعى كان مستشار الأمن القومى ، قلت لكامل

الشناوى انا خايف واحد من الجماعة اللى بيقعد معاهم يصدقه .. وبدت على وجه كامل الشناوى معالم الدهشة وقال انت خايف حقيقى ، غريبة دى ، انا ماكنتش فاهم انك ساذج للدرجة دى ، ثم قال .. هو انت فاهم فيه حد أهبل تانى زى الرافعى ، ثم الريس ضحك ، يبقى عجبته النكتة ، فهمت بقى والا ما فهمتش . ولما ظهر على وجهى اننى لم أفهم ، ناولنى عدة اوراق وقال لى .. اتفضل قوم روح مكتبك وشوفلى الموضوع ده وقوللى رأيك فيه .

وبالرغم من تأكيدات كامل الشناوى للعبدالله بأن كل شىء سيكون على مايرام ، فقد قضيت فترة من الزمن اتوقع حدوث مالا تحمد عقباه ، وظل الأخ الرافعى على علاقة سيئة بالعبدالله لم تسوالابعد فصلى من جريدة الجمهورية بعد ذلك بسنوات .

وقصة الفصل نفسها تستحق ان تروى . وكنت قد حملت رسالة من عبد القادر اسماعيل وعامر عبدالله والدكتور صفاء وآخرين من قادة الحزب الشيوعى العراقى ، الذين كانوا يقيمون فى دمشق فى ذلك الزمان ، وقد حملونى الرسالة لتوصيلها الى جمال عبد الناصر ، ولان العبد لله لم يكن له علاقة بعبد الناصر من اى نوع ، فقد سلمت الرسالة الى المرحوم انور السادات باعتباره رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية ، وبالفعل استدعى أحد افراد الحرس الجمهورى بالتليفون وسلمه الرسالة ، ثم جلس معى بعض الوقت يستمع الى تفاصيل الأحوال فى دمشق ، ثم طلب منى ان اكون مستعدا للقيام بمسئوليات جديدة فى الجريدة الى جانب عملى .. ولما استفسرت منه عن السبب . قال .. هاتفهم بعدين . وكان المرحوم انور السادات يعتبر العبدلله واحدا من رجالته . فى الجريدة بسبب موقف لم أتعمده . وأصل الحكاية اننا فوجئنا ذات يوم بمجىء الضابط أمين شاكر ، وهو من الضباط الاحرار ، واصبح له مكتب ضخم فى الجريدة أضخم من مكتب كامل الشناوى ، ثم راح يكتب مقالات وينشرها فى الجريدة ، ثم استدعانى الى مكتبه ذات مساء وكلفنى بالسفر الى تونس ، وتغطية الأحداث التى اعقبت خلع الباى وتولى بورقيبة رئاسة الجمهورية .

وبالفعل ذهبت الى سفارة تونس للحصول على تأشيرة الدخول ، وهناك التقيت بمحض الصدفة بالصاغ فوزى عبد الحافظ سكرتير انور السادات ،

الذى سألنى عن سبب وجودى بالسفارة ، فأبلغته بما كلفنى به أمين شاكر ثم انصرف دون ان يعلق على الموضوع بشىء .

وفى بيتى تلقيت مكالمة تليفونية من الصاغ فوزى ، ابلغنى فيها رسالة فى عدة كلمات .. البكباشى بيقولك ماتسافرش الا اذا جالك أمر منه هوه شخصيا .

بعد مكالمة الصاغ فوزى عبد الحافظ بساعات استدعانى امين شاكر وسألنى عن موعد السفر ، فاعتذرت عن عدم السفر . ولما سأل عن السبب ، ابلغته بما دار بينى وبين فوزى عبد الحافظ فعقب قائلا .. انور السادات ساب الجورنال خلاص وانا المسئول هنا . قلت له .. ولكن اسم انور السادات لايزال يحتل صدر الصحيفة كرئيس لمجلس الادارة ، فسألنى فى غيظ .. انت بتشتغل عند انور السادات والا فى الجريدة ؟ قلت له ساخرا .. الحقيقة أنا ما بقيتش عارف الفرق ، قال .. اذن هتسافر بكرة ، قلت له فى هدوء .. سأسافر باذن الله اذا اخذت امرا من انور السادات ، تجاهل أمين شاكر الموضوع على غير عادته ، لانه كان شرسا فى تعامله مع المحررين . ثم راح يتحدث فى موضاعات اخرى خاصة بالجريدة ، وعندما استأذنت منه فى الانصراف ، سمح لى دون الرجوع الى موضوع تونس .

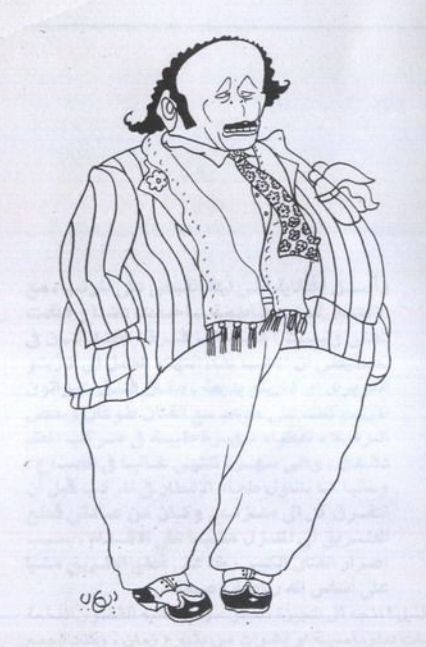
وفوجئت بعد يومين من هذه الواقعة بالصاغ فوزى عبد الحافظ يطلبنى فى التليفون ويقول لى بالحرف الواحد .. تقدر تسافر دلوقت . سألته .. البكباشى اللى أمر ؟ قال .. طبعا ، هو اللى أمر قلت له .. خلاص ، على بركة الله .. وفى مساء اليوم التالى جلست مع امين شاكر استمع الى تعليماته بشأن الرحلة ، وقال لى قبل ان انصرف .. مش عاوزك تغيب اكثر من عشرة ايام ، قلت له .. قول اسبوعين .. قال لى .. هم عشرة ايام مافيش غيرهم .. ان ما جتش بعد عشرة ايام .. هاشنقك فى ميدان التحرير . حاولت عبثا افهامه ان المدة لاتكفى ، فالرحلة الى تونس عن طريق روما ، لان الملك السنوسى وقتئذ كان يمنع عبور المصريين من اجواء ليبيا او عبر مطار طرابلس . ولكن امين شاكر أصر . فودعته وانصرفت . واضطررت الى تعديل مسار الرحلة ، وسافرت عن طريق ليبيا ترانزيت ، وسرحت فى تونس مع الرئيس بورقيبة حتى مدينة الكاف على الحدود الجزائرية ، وقضيت معه اياما فى جزيرة مالطة ، التى قضى فيها بعض الوقت ضيفا بأمر سلطات الاحتلال

الفرنسية ، ثم ذهبت الى روما وتبحبحت فيها عدة ايام ، وعدت الى مصر بعد شهر وفى جعبتى عدة سيناريوهات لتبرير غيابى الطويل امام امين شاكر .
وفوجئت عند وصولى الى مكتبه بالدور الثالث بانه لا أثر لأمين شاكر فى المبنى ، فقد انتقل الى موقع آخر !

وتحدثت مع زملائى عن واقعة فصلى من جريدة الجمهورية ، وكيف اتخذوا هذا الاجراء ضدى مع اننى لم أقصر فى عملى ، بالاضافة الى الحفاوة التى استقبلنى بها انور السادات بعد عودتى من تونس كانت تؤكد اننى أحد الرجال الذين يعتمد عليهم ، وكيف أبلغنى موظف الحسابات بنبأ فصلى ، وما الذى فعله عبد الرحمن الخميسى لوقف هذا القرار .









القبض على المرتب

وأصـل الحكاية أننى ليلة القبض على المرتب ـ مع الاعتذار للست فاطمـة ـ اخذت دشـا وحلقت ذقنى ولبست الحتـة الـزفـرة ، فقـد كـان فى تخطيطى ان اذهب بعد انتهاء العمل الى كازينـو الكوبرى او كازينو بديعة ـ مكان فندق شيراتون الآن ـ وكنت على موعد مع الفنان طوغان وبعض الـزمـلاء لقضاء سهـرة طيبـة فى مـركب المعلم دقـدق ، وهى سهـرة تنتهى غـالبـا فى الصبـاح ، وغالبا كنا نتناول طعام الإفطار فى المركب قبل أن نتفـرق كل الى منـزلـه . وكـان من عـادتى قطع الطـريق الى المنـزل مشيـا على الاقـدام ، بسبب اصرار الفنان الكبير رخا على قطع الطريق مشيا على أساس انه رياضة وصحة .

وكان شارع النيل المتجه الى الجيزة تتناثر على شاطئيه القصور الفخمة التى تسكنها بعثـات دبلوماسيـة او بشوات من بتـوع زمان ، وكنت أجمع ثمار المانجو السـاقطة على الارض بعد ان طـابت ، ثم نجلس فترة على قهوة محمـد عبد الله نلتهم فيهـا حبات المانجـو ، ثم نحبس بشـاى منعنع ، ثم يستقل الفنـان رخا سيـارة اجرة تـوصله الى منـزله فى الهرم . وليلـة قبض المرتب بالذات كانت مناسبة خاصة للغاية . أولا لأن فيها قبضا ، وثانيا لأن

الفنان شكوكو كان على موعد معنا فى تلك الليلة ليرافقنا فى النزهة البحرية .. المهم اننى وصلت الى دار الجريدة فى السابعة مساء ، واتجهت مباشرة الى الخزانة ، وما إن وقع بصر الموظف على العبد لله حتى جاء متهللا سعيدا مرحبا على غير العادة ، ثم قال وفمه مفشوخ عن ابتسامة بلا معنى :

— عندى جواب لك ياأستاذ .

رقص قلبى من شدة الفرحة ، فخطاب اتسلمه من أمين الخزانة معناه علاوة جديدة او مكافأة مجزية ، ولابد ان الادارة لديها علم بما عرضه رئيس التحرير على العبد لله من مهام جليلة . تسلمت الخطاب واحتضنته برفق وفتحته باحترام ورحت اقرأ ولم اصدق عينى فى البداية ، الاستاذ فلان — الذى هو أنا — نظرا للتغييرات التى رأينا ادخالها على الجريدة فى المرحلة القادمة ، قررنا الاستغناء عن خدماتكم ، مع تقديرنا للجهد الكبير الذى بذلتموه فى المرحلة السابقة ، مع العلم بأن جميع حقوقكم محفوظة ، وسيتم صرف مستحقاتكم بالكامل خلال ايام ، آملين ان تسنح الفرصة للتعاون معكم فى المستقبل .

كان أمين الخزانة مايزال واقفا امامى ، وعندما تأكد اننى قرأت الخطاب واستوعبت ما فيه ، راح يعتذر وينفى عدم علمه بما فيه ، ثم قال :

— لكن دا مش انت لوحدك ، دول سلمولى ييجى ستين جواب زى ده .

أرعشت حاجبى من شدة الدهشة وسألته :

ـ مين .. مين تانى ؟

فالتقط الموظف رزمة الخطابات وراح يقرأ الأسماء المدونة فوق المظاريف .. بيرم التونسى ، نعمان عاشور ، الفريد فرج ، فلان وفلان وفلان ، ثم عبد الرحمن الخميسى . قفزت كبهلوان مدرب عند سماعى لاسم الخميسى . الخميسى مفصول ، ياقوة الله إذن سأجد رفيقا طيبا عزيزا فى رحلة الصياعة . امسكت بسماعة التليفون وادرت القرص طالبا عبد الرحمن الخميسى فى البيت . جاءنى صوته المميز .. الووه ، سألنى عن المكان الذى أوجد فيه ، وعندما عرف اننى فى مكتب موظف الخزانة لقبض المرتب ، عاد يسألنى :

ـ فيه فلوس ؟

قلت له متخابثا :

ـ دا فلوس ومكافآت وعلاوات ، حاجة تفرح !

قال :

ـ طيب انا هالبس وهاجيلك ..! استنانى فى مكتب كامل بيه لحد ماأجيلك.

اعتذرت للخميسى عن عدم استطاعتى انتظاره فى أى مكان بالجريدة . وعندما استفسر عن السبب ، أجبته :

— لأنهم فصلونى .

ضحك عبدالرحمن الخميسى ضحكة قصيرة وقال :

— يا ابنى بطل اللغو بتاعك ده .

شرحت له ان المسألة لالغو فيها ، وأننى فصلت بالفعل وخطاب الفصل فى يدى ، واننى سأغادر الآن إلى الجيزة . قاطعنى الخميسى قائلا :

— ما تتحركش من عندك .. أنا جايلك على طول .. وبعدين ثق يا ابنى ان فيه غلطة حصلت .. مش ممكن يرفدوا واحد زيك من جريدة مقبلة على مرحلة جديدة .. خليك عندك .. أنا جاى اتصل بالقائمقام أنور السادات، إذا ما عملش حاجة أنا هاتصل بالرئيس جمال عبدالناصر !!

كان أنور السادات قد ترك العمل فى جريدة الجمهورية وأصبح رئيسا لمجلس الأمة ، وكان رئيس مجلس الادارة الجديد اسمه عبدالرءوف نافع ، وهو ضابط بحرى ، ولم أكن قد التقيت بعبدالرؤوف نافع أو شاهدته فى أى مكان ، وجلست فى مكتب أمين الخزانة انتظر مجىء عبدالرحمن الخميسى ، حليقا معطرا كعادته ، واقتحم المكتب هاشا باشا وصافحنى بحرارة ، وفعل نفس الشىء مع كل الموجودين ثم قال لأمين الخزانة :

— مين الحمار اللى رفد السعدنى ؟

ورد الرجل :

— والله .. علمى علمك يا أستاذ .

— هات المرتب لما أروح أشوف إيه الحكاية .

التقط الموظف مظروفا من درج مكتبه وقال للخميسى :

— فيه جواب لسيادتك أقرأه الأول إذا سمحت .

مزق عبدالرحمن الخميسى الغلاف وراح يلتهم بعينيه سطور الخطاب ، نفس الصيغة ونفس الكلمات . شحب وجه الخميسى وهو يقرأ الخطاب ثم صرخ فى وجه الموظف قائلا :

— دى قلة حيا .. دا احنا لو بنشتغل عند بديعة ما تعملش فينا كدة ،

وعلى العموم بركة ياجامع الى جت منكم ماجتش منا . ثم مد يده نحو الموظف وقال له :

ــ ادينى المرتب خلينى أمشى بعيد عن الجو الخبيث ده .

ضرب الخميسى المرتب فى جيبه وسحبنى من يدى ونزل على السلالم وثبا . عندما وصلنا إلى الدور الثانى طلبت من الخميسى ان نذهب إلى كامل الشناوى لنحيطه علما بما حدث ، ولكن الخميسى جرنى بعنف إلى السلم قائلا بلهجة غاضبة :

ــ اتفضل معايا نروح للشعب .

كانت هناك جريدة تدعى الشعب تصدر من شارع قصر العينى فى نفس المكان الذى كانت تصدر منه جريدة المصرى من قبل . وانتابتنى فرحة شديدة عندما سمعت اسم الشعب ، فهى جريدة حديثة ولاتعانى من الأمراض المزمنة التى تعانى منها جريدة الجمهورية ، ولابد ان يكون للخميسى صلات واسعة بالمسئولين بالجريدة والمشرفين عليها . وربك كبير ، يقطع من هنا ويوصل من هنا ، ولا بأس من استئناف العمل فى جو جديد وبين زملاء جدد . وركبنا أول تاكسى صادفنا فى الطريق وقال له الخميسى :

ــ اطلع بينا يا أسطى على ميدان التحرير وعندما أصبحنا فى ميدان التحرير ، التفت السائق خلفه ونظر للخميسى ليدله على الطريق الذى يسلكه . وقال الخميسى للسائق :

ــ خش يمين .

ولما لم يكن على اليمين أى شىء إلا كوبرى قصر النيل وكازينو بديعة فقد تداركت الأمر بسرعة وقلت للسائق :

ــ اطلع على طول ياعم ، على قصر العينى ، وصرخ الخميسى فى وجهى محتدا وقال :

ـ شارع قصر العينى نهبب فيه ايه؟

وقلت للخميسى بهدوء :

ــ انت مش رايح الشعب ؟

هز رأسه بالموافقة ، فقلت له :

ـ ما هى جريدة الشعب فى شارع قصر العينى .

ازداد هياج الخميسى وقال :

ـ انا مش رايح لجريدة الشعب يابنى انا رايح للشعب المصرى .

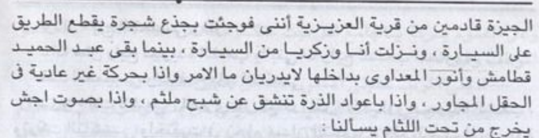
قلت للخميسى وانا افتح باب التاكسى :

ـ روح انت للشعب المصرى على كيفك ، لكن انا هاروح جريدة الشعب ، وتركت التاكسى واختفيت فى زحام ميدان التحرير . ولم اذهب الى جريدة الشعب ، ولم اذهب مثل الخميسى الى الشعب المصرى ، ولكنى ذهبت الى قهوة محمد عبدالله وحكيت ماجرى بالتفصيل للمرحوم أنور المعداوى ، الذى هز رأسه كعادته هزات بطيئة متعاقبة وقال وهو يضغط على الكلمات بشدة :

ـ قلتلك ميت مرة يامحمود هذا هو مصير من يتعامل مع الناس دى ، وانت ماصدقتنيش ، إياك بقى تتعلم من الدرس ده .

كان أنور المعداوى يشعر بمرارة شديدة ويقاطع كل شىء فى مصر . فقد تم نقله من المكتب الفنى بوزارة المعارف الى مدرسة السلحدار الابتدائية ، مع أنه كان واحدا من اعظم نقاد مصر وأشهرهم على الاطلاق ورفض أنور المعداوى وظيفته الجديدة وقدم استقالته فقبلت على الفور . ومنحوه معاشا صغيرا لايكفى لتدبير حاجاته الضرورية ، ولكن الكاتب الاسلامى الفارس محمود شعبان تطوع مشكورا بمنح انور المعداوى مرتبه كاملا اول كل شهر . ولكن أنور المعداوى الشامخ النافش كالطاووس لم يطق صبرا على هذا الوضع ، فسرعان ما تناوشته الأمراض من كل نوع ولم يعش طويلا فمات قبل أن يبلغ الخمسين من العمر .

المهم اننى عدت الى شلة الجيزة القديمة ، عدت من جديد الى العم زكريا الحجاوى والشيخ عبد الحميد قطامش ، وأنور فتح الله ومحمود شعبان ، واشتريت بجزء من المكافأة سيارة اوستن صغيرة قديمة دفعت فيها ١٢٠ جنيها ، وفرح بها زكريا الحجاوى وسماها المطية ، وبهذه المطية عدنا الى رحلاتنا القديمة فى ريف مصر . لم أشعر بضيق او بقلق بسبب البطالة وقلة الموارد ، وكانت ثقتى فى الفرج بلاحدود وبلانهاية ، ولكنى سالت الله ان يؤجل الفرج بعض الوقت حتى أتمكن من الاستمتاع بالعالم الجديد الذى فتحه زكريا الحجاوى أمامى ، مهرجانات فن شعبى وافراح ريفية وسهرات ليلية على مصاطب الفلاحين . وحدث ذات فجرية ونحن فى طريقنا الى



الجيزة قادمين من قرية العزيزية أننى فوجئت بجذع شجرة يقطع الطريق على السيارة ، ونزلت أنا وزكريا من السيارة ، بينما بقى عبد الحميد قطامش وأنور المعداوى بداخلها لايدريان ما الامر واذا بحركة غير عادية فى الحقل المجاور ، واذا باعواد الذرة تنشق عن شبح ملثم ، واذا بصوت اجش يخرج من تحت اللثام يسألنا :

ـ انتو جايين منين ؟ورد زكريا الحجاوى على الفور :

ـ انا عمك زكريا الحجاوى وجاى من عند الحاج محمد ابو جندية فى أم خنان واذا بالصوت الاجش يتحول الى صوت ودود للغاية وقال :

ـ طب لامؤاخذة ياعم زكريا ، اتفضلوا وخرج من الحقل ثلاثة رجال سحبوا الشجرة التى تسد الطريق ، ثم جاءنا صوت الشبح مرة اخرى :

ـ اتفضلوا شاى .

ورد عليه زكريا الحجاوى وكأنه يحاضر فى جامعة نيودلهى :

ـ لأ ، انا ما تفضلش شاى بالطريقة دى ، انا اروح بيتنا الاول ، انام واصحى ، وآخذ حمام واحلق دقنى ، واجيلك ان شاء الله اشرب شاى .

وركبنا السيارة وانطلقت فى طريقى الى الجيزة واكبرنا جميعا شجاعة زكريا الحجاوى التى حسمت الموقف لصالحنا ، ولكن زكريا ضحك ضحكة صافية من أعماقه وقال :

ـ شجاعة إيه ياعم .. دنا قلت الكلام ده وأنا (....) على روحى ، البنطلون مبلول زى مايكون فوطة ووقعت فى ترعة لكن انا لازم اعرف هوه مين .

وفى اليوم التالى تلكأت عندما دعانى العم زكريا للذهاب الى قرية الشوبك . لم اكن على استعداد للوقوع مرة اخرى فى براثن عصابات قطاع الطرق التى كانت منتشرة حينئذ فى قرى البدرشين وقرى الجيزة . وفى اليوم الثالث تاب الله على العبدلله من رحلات العم زكريا وتاب على المطية من التوغل فى اعماق الريف . فقد تلقيت مكالمة تليفونية من الاستاذ احسان عبد القدوس يدعونى فيها للعمل معه فى روز اليوسف . وكانت يومئذ ملكية خاصة للسيدة روز اليوسف !



حقوق الطبع والامتياس

قبل ان نودع جريدة الجمهورية بحلوها ومرها ينبغى ان نذكر آخر مقلب ماركة العبدلله والذى كان ضحيته احد الزملاء بدار التحرير واسمه عبد العاطى عبدون .
وأصل الحكاية ان الاستاذ عبد العاطى كان زميلا بحكم عمله للعبدلله وذات مساء هبط على قاصدا المشورة والرأى السديد ،وعندما سألته أى مشورة وأى رأى سديد أجاب :

اننى على اعتاب قنبلة صحفية ستهتز لها الاوساط السياسية . وانا ابدى دهشتى لعبدون قلت كيف .. على الفور قال انها حقيقة الثورة المصرية واسرارها التى تذاع لأول مرة . وانا البس رداء الناصح الأمين طلبت من عبد العاطى ألا يذيع امر هذا الكتاب الخطير وان يختص شخصى الضعيف بحقوق النشر والتوزيع لهذا السبق المعجزة.

وبدون اى تفكير اوماعبد العاطى رأسه بالموافقة وامسكت بالورقة والقلم لأحرر اغرب واعجب عقد فى تاريخ حركة النشر على الاطلاق !

بسم الله الرحمن الرحيم

إنه فى يوم كذا شهر كذا عام ١٩٥٧ تم الاتفاق بين كل من :

١ ـ دار الهنا والشفا للطباعة والنشر ويمثلها الاستاذ محمود السعدنى طرف اول .

ب ــ الاستاذ عبد العاطى عبدون المحرر الصحفى بدار الجمهورية طرف ثان .

وقد اتفق الطرفان على ان يقوم الطرف الاول بطبع ونشر كتاب الطرف الثانى «أسرار الثورة المصرية»

جـ ــ يتحمل الطرف الأول تكاليف طباعة مائة الف نسخة من الكتاب المذكور . ويتحمل الطرف الاول ايضا تكاليف الحملة الاعلانية فى الصحف والمجلات .

د ــ تكون طباعة الغلاف على ورق فاخر ومن اربعة الوان ، على ان يجرى فرز الالوان فى مطابع ديكسون بانجلترا .

هـ ــ يتعهد الطرف الاول بتوزيع الكتاب فى كل من الاسكندرية وكفر الدوار ودمنهور وحوش عيسى وسحالى ونتمة والمحمودية والمعدية وايتاى البارود وكفر غزال وأميوط ، دسوق ، كفر الشيخ ، الزقازيق ، المنصورة ، اجا ، طنامل ، صهرجت الكبرى ، صهرجت الصغرى ، بنها ، مسجد الخضر، ميت البيضا ، سبك الضحاك ، بهناى ، القناطر الخيرية ، الوراق ، امبابة ، القاهرة ، الجيزة ، بنى سويف ، المنيا ، بنى مزار ، اسيوط ، بنى قيز، الغنايم .

عند هذه النقطة انتفض المؤلف عبد العاطى غاضبا وهب واقفا وصاح بأعلى صوته :

ـ لابلاش الغنايم من فضلك .. سألت عبد العاطى عن السبب ، فأجابنى بان الغنايم مسقط رأسه ، ولا يرغب فى توزيع كتابه هناك . وعلى الفور سجلت فى العقد بندا جديدا

ملحوظة : وتستثنى قرية الغنايم من توزيع كتاب اسرار الثورة المصرية، حيث انها مسقط رأس المؤلف وبعدها استأنفت كتابة مواد العقد .

و ـ يجب على كل قارىء يشترى كتاب «اسرار الثورة المصرية» ان يترك عنوانه كاملا عند الموزع الذى اشترى منه الكتاب . وان يقوم بعد فراغه من الكتاب بكتابة رأيه فيه بمنتهى الصدق والوضوح . وتقوم دار الهنا والشفا للطباعة والنشر بأصدار كتاب ضخم يحتوى على ردود القراء تحت عنوان : « صدى اسرار الثورة المصرية فى أنحاء العالم وردود الافعال بين القراء فى القرى والدساكر » .

هنا هب عبد العاطى واقفا وقال :

ـ ايه بقى اللى حشر العساكر فى العملية دى ؟

ـ الدساكر ياعبد العاطى مش العساكر .

ـ وايه هية الدساكر دى ؟

الدساكر دى يعنى وزارة الأعلام !!

فشخ عبد العاطى فمه عن ابتسامة عريضة وقال :

ــ يعنى لازم تكتبها بالوحوى « النحوى » وعلى العموم انا صديق الحاج زهران مدير مكتب الدكتور حاتم ويمكن يصرفوا لنا إعانة للكتاب !!

ز ـ بعد نشر كتاب « صدى أسرار الثورة المصرية » يقوم الاستاذ المؤلف عبد العاطى عبدون بالرد على الصدى عن طريق تأليف كتاب آخر بعنوان «صدى الصدى » ويجرى الاتفاق مع المؤلف عن الأجر وعدد النسخ المطبوعة فى حينه .

ح ـ تقوم دار الهنا والشفا للطباعة والنشر بتنظيم ندوة عالمية مختلطة من العرب والأجانب وتكون لندن مقر الندوة ، ويحضرها سكرتير عام الأمم المتحدة ورئيس جمعية حقوق الانسان وجمعيات الهلال الأحمر والرفق بالحيوان ومأمور مركز امبابة ويحييها المطرب الشعبى محمد أبو دراع .

ويقوم الاستاذ عبد العاطى بافتتاح الندوة بكلمة لتحية السادة الذين لبوا الدعوة .

ط ــ إذا وقع أى هجوم على الأستاذ عبدالعاطى مؤلف « أسرار الثورة المصرية » أثناء عقد الندوة أو بعدها سواء من القراء أو النقاد أو المراقبين ، تقوم دار الهنا والشفا للطباعة والنشر بحماية الاستاذ بكل الوسائل المتوافرة ،وتخصص له طائرة خاصة طراز « فايكونت » لتنقلاته بين القارات ..

ى ــ يتقاضى الاستاذ المؤلف مبلغ ألف دولار عن كل ليلة يقضيها فى الخارج للاشتراك فى الندوات أو لعمل مقابلات صحفية خارج مصر ، سواء حول الكتاب ، أو حول غيره من الموضوعات التى تستأثر باهتمام الجماهير فى مصر والخارج ويكون الدفع نقداً ويوماً بعد يوم ، وتتولى دار الهنا للطباعة والنشر تسوية الضرائب المطلوبة منه عن بدل السفر والاقامة ، كما

يخصص لـه خادم وسكرتير خاص ، ومترجم فورى ، يشترط فيه إجادة الانجليزية والفرنسية والأسبانية إلى جانب العربية !

وبعدها استأنفت كتابة بنود العقد .

ك ـ يحصل المؤلف الاستاذ عبد العاطى عبدون على خمسين فى المائة من سعر الغلاف ويتقاضى مبلغ خمسمائة جنيه مصرى عند توقيع العقد .

ك ـ مكرر : يقوم الطرف الأول بترجمة كتاب عبد العاطى عبدون المحرر الصحفى إلى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، ويقوم الاستاذ محمد محجوب بالترجمة إلى الانجليزية والاستاذ إبراهيم موسى بالترجمة إلى الفرنسية ، وحيث إن أسرار الثورة المصرية من الكتب التى ستحدث هزة فى العالم ، وسيكون محل جدل شديد بين رجال السياسة والفن والرياضة من الآن وإلى منتصف القرن الواحد والعشرين ، لذا يعطى للأساتذة المترجمين سعر خاص عبارة عن مائة جنيه عن كل ألف كلمة .

ل ـ تتعهد دار الهنا والشفا للطباعة والنشر بالحصول على مقدمة للكتاب من الرئيس البطل جمال عبد الناصر إذا كانت ظروفه تسمح بذلك ، فاذا لم تكن تسمح فتكون المقدمة بقلم الصاغ كمال الدين حسين حفظه الله.

أخيرا .. هذا العقد ملزم للطرفين وفى حالة وقوع أى خلاف بينهما تكون محاكم القاهرة مختصة بفض النزاع بالنسبة للنسخة العربية ، وتكون محاكم لندن هى المختصة بالنسبة للنسخة الانجليزية ، أما الخلاف حول النسخة الفرنسية فيكون من اختصاص محاكم باريس .

●●●

عندما انتهيت من كتابة العقد التاريخى ، راح المؤلف يقرأ العقد ، وتوقف فجأة عند بند من البنود .

وقال :

ـ احنا ما اتفقناش من غير مؤاخذه على فلوس النسخة الانجليزي والنسخة الفرنساوى .

قلت لعبد العاطى :

ـ هذا عقد آخر ، وسيوقعه معك السيد مدير عام الترجمة بدار الهنا والشفا للطبع والنشر .

عندئذ واصل المؤلف عبد العاطى قراءة العقد ثم امسك بالقلم ووقع العقد وكتب التاريخ أسفل التوقيع ، ثم وقف وصافحنى ، ثم استأذن فى الانصراف ، ولكننى طلبت منه أن ينتظر قليلا ، وخرجت من مكتبى إلى صالة التحرير ، واتفقت مع المصور أحمد سليمان على أن يأتى بعد قليل ويقتحم حجرتى ويصافحنى بحرارة ويعانقنى مهنئا وأن يفعل نفس الشىء مع عبد العاطى ، ثم يلتقط لنا صورة وأنا أصافحه باليد اليمنى وعقد الاتفاق فى اليد اليسرى ، وعندما عدت إلى مكتبى وجدت عبد العاطى قلقا ، ثم طلب منى نسخة من العقد ، وأكدت له أن النسخة ستكون عنده فى صباح الغد ، وبينما وقف يستأذن فى الخروج لأن لديه عملا عليه أن يؤديه خارج الجريدة ، اقتحم المكتب المصور أحمد سليمان وراح يعانقنى ويقبلنى مهنئا بالنجاح الكبير الذى حققته فى ابرام العقد مع المؤلف الكبير الاستاذ عبد العاطى عبدون ،ثم فعل نفس الشىء مع الأستاذ عبد العاطى احتضنه وقبله ثم قال له :

ـ انا لن اهنئك ، ولكنى سأهنىء دار النشر لأن ما انجزته هو ضربة معلم ستحقق لها الكثير ، أما أنت فكان بأمكانك طبع كتابك فى أى مكان فى العالم .

وانشرح صدر عبد العاطى وبدأ عليه السرور والارتياح ، ثم طلبت من أحمد سليمان أمام الاستاذ عبد العاطى وبحضور الاستاذ محمد محجوب أن يلتقط لنا صورة تذكارية لكى نستعين بها فى حملتنا الاعلانية عن الكتاب ، والتقط لنا أحمد سليمان عدة صور مع المؤلف بعضها للمؤلف مع الناشر الذى هو العبد لله وبعضها للمؤلف مع المترجم الذى هو الاستاذ محمد محجوب وبعضها للمؤلف وهو يتوسط الناشر والمترجم . وفى المساء سلمنى أحمد سليمان الصور التذكارية فأرفقتها بالعقد ، وأرفقت العقد والصور بأصول الكتاب وانتظرت حتى جاء كامل الشناوى إلى مكتبه ووضعت الدوسيه كاملا أمامه ، ونظر اليه كامل الشناوى نظرته الذكية الشقية الفاحصة وقال :

ـ ايه ده ؟



احببته :

- دا ورق لازم تقرأه .

فقال محتجا :

- هاقر ده كله .. انت يابنى ربنا بعتك علشان تعذبنى ، قولى فيه إيه وخلصنى. حكيت لكامل الشناوى الحكاية من طقطق لسلامو عليكم وضحك حتى اهتز جسمه كله ، ثم سعل بشدة ثم اطفأ السيجارة التى كانت مشتعلة بين أصابعه وقال :

- هذه ضربة قاضية وقد تخلصنا من هذا الوباء .

استأذنته فى الحصول على إجازة لمدة ثلاثة ايام . فقال لى :

- ليه يابنى انت رايح فين ؟ مسافر أوروبا ، فقلت له :

- أنا تعبان وعاوز استريح شوية فقال : يوم واحد أجازة فقط .

فقلت :

- يومين

فقال : زى بعضه ، خلاص يومين .

قضيت اليوم التالى فى البيت لم ابرحه ولم اتصل تليفونيا باى احد ، وفى اليوم الثانى من الاجازة طلبت الاستاذ محمد محبوب الذى بادرنى قائلا :

- انت فين .

اجبته : أنا نايم .

فقال : يعنى انت تشعللها نار وتنام

سألته : أيه اللى حصل ؟

وعرفت من محبوب أن كامل الشناوى وضع الملف على مكتب أمين شاكر .. وقرأ أمين شاكر العقد ولم يصدق نفسه . وعندما عرف أسلوب عبد العاطى ومواهبه الخفية أصدر قرارا بوقفه عن العمل واحالته إلى اللجنة الثلاثية لفصله من الجريدة .

ودخلت الجمهورية فى اليوم التالى دخول الجنرال زوكوف برلين بعد غزوها ولكن هذا النصر لم يدم طويلا ، فلم يلبث أمين شاكر الا قليلا حتى ترك الجريدة وعاد عبد العاطى من جديد ، وكان أول ما فعله أنه جاء إلى مكتبى ووقف يحدق فى وجهى بعض الوقت ثم قال :

- على العموم انت بتعمل مقالب ، لكن أنا هوريك المقالب شكلها إيه ، وهانشوف من فينا اللى حا يصرخ ويقول آى ، لانى انا هوريك المقالب اللى على أصلها وبعدين أوعى تفتكر ان انا كلت المقلب ، انا كنت فاهم الفولة وواخدك على قد عقلك ، ثم امسك ذقنه بأصابعه وقال :

- وحياة دى لأخليك تقول ياريت اللى جرى ما كان .

وقلت لعبد العاطى :

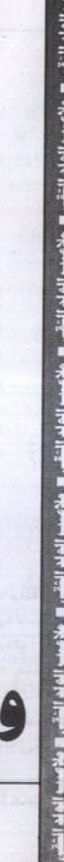
- شوف ياعبد العاطى تقف بأدبك اهلا وسهلا ، تغلط أقولك وريني عرض كتافك . وقال عبد العاطى بصوت مرتعش يحمل بين طياته نبرة تهديد :

- وكمان بتطردنى من مكتبك .. طيب يا استاذ يابتاع المقالب ياللى فاهم نفسك حدق .. ثم انطلق خارجا ، وفى الحقيقة لم أهتم بتهديداته ، فقد كان غبيا وقليل الحيلة ، وكان اقصى ما يستطيعه هو الوشاية بالعبد لله عند أجهزة الأمن ، ولم يعمر عبد العاطى كثيرا فى الجريدة ، فسرعان ما قاده غروره إلى حتفه .

وأصل الحكاية أن المخابرات المصرية القت القبض على خلية جواسيس تعمل لحساب المخابرات البريطانية، وقامت المخابرات المصرية بإغلاق الشقة التى كان يقيم فيها الجواسيس وختمتها بالشمع الاحمر ومنعت دخولها أو الاقتراب منها ، ولكن عبد العاطى الذى كان على علاقة بضابط بالمخابرات العامة برتبة رائد تصور أنه فوق القانون .

فاصطحب معه احد المصورين وفتح شقة الجواسيس بعد ان أبلغ المخبر الذى يحرس الشقة أن معه اذنا من المخابرات العامة بفتحها ، وعندما علمت المخابرات بنبأ فتح الشقة القت القبض على عبد العاطى وتم فصله من الجريدة ، وفى البداية افتتح بالمكافأة التى حصل عليها عن مدة الخدمة محلا لبيع الفول المدمس بعابدين ، ولكنه اضطر إلى اغلاقه بعد فترة وبعد ان قضى على قيمة المكافأة ، وصار بلا محل وبلا أموال ، اضطر عبد العاطى إلى الاشتغال كعامل فى محل منجد بالجيزة ، وحدث أنه أراد الزواج من خادمة كانت تتردد على دكان المنجد ، لزوم تنجيد بعض الاغطية والمخدات ، ووافقت البنت على الزواج من عبد العاطى بشرط الحصول على

موافقة مخدومها الذى كان يعمل مستشارا فى محاكم الاستئناف .. فذهب عبد العاطى إلى بيت المستشار وقابله وطلب منه يد الخادمة، وأراد المستشار أن يطمئن على مستقبل خادمته ، فراح يمطر عبد العاطى بأسئلة حول عمله وبيته وقدرته المالية ، ولكن عبد العاطى تهرب من الاجابة عن حالته الحاضرة ، وراح يحكى للمستشار عن دوره فى الثورة وعن كتابه « أسرار الثورة المصرية » وعرض على المستشار بعض اعماله الصحفية فى جريدة الجمهورية وفى مجلة التحرير، لكن المستشار المتمرس وعدعبد العاطى بالموافقة على الزواج اذا جاءه بعقد شقة لائقة ووثيقه تثبت أن عبد العاطى يعمل فى مكان ما وبمرتب ثابت ، وكان هذا الشرط سببا فى عدم عودة عبد العاطى مرة أخرى إلى بيت المستشار ، وحتى دكان المنجد لم يحتمل بلادة عبد العطى ولا شغفه بالحديث عن امجاده فى مجال الصحافة والسياسة والحرب ، فاستغنى عن خدماته ، ولم يشاهد عبد العاطى بعد ذلك فى أى مكان ، يبدو انه لم يحتمل السقوط فمات ، وهناك احتمال كبير انه يقيم الآن فى مكان ما ويمارس عملا ما ، وربما باسم آخر ، وربما يفكر الآن فى اصدار طبعة جديدة لكتابه المعجزة « اسرار الثورة المصرية » حقوق الطبع والامتياس محفوظة لصاحب القسمة والنصيب !







ولا عزاء للمغفلين

بعد مرور اسبوع واحد على العمل مع احسان عبدالقدوس بروز اليوسف ، اكتشفت اننى أصبحت أهدأ أعصابا وأروق بالا وسعيدا على نحو ما . لم تكن هذه حالتى أيام العمل بالجمهورية .

كانت هناك معركة يومية بينى وبين الزملاء والادارة ، بعكس روزاليوسف كل واحد يعرف عمله ويعرف طريقه بلاتعقيد . ووجدت لدى وقتا كافيا لممارسة هوايتي في تدبير المقالب البريئة للآخرين . في بداية الأمر كنت أدبر مقالب من النوع الثقيل الذى يسبب أضرارا شديدة ولكن بعد عشرتى مع كامل الشناوى تعلمت كيف تكون المقالب الشيك .

وكان أشهر مقلب دبرته فى بدايات العمر مع أديب شاب يدعى «أ. ن. ح» جاء به يوسف السباعى ودخل مكتب العبد لله بمجلة التحرير وقال يوسف بلهجته الودود : يامحمود اكتب مقدمة للشاب ده . وكان مع الشاب مسودة كتاب يضم عدة قصص قصيرة والكتاب يحمل عنوان « فى سبيل الحياة » وعندما قرأت أول قصة انتابتنى حالة من الهيستريا بدأت بموجة من الضحك أعقبتها موجة من السعال . كانت أول قصة تبدأ هكذا « يارجال الفضيلة ان زوجتى بالحديقة انها فى الحديقة » وكانت القصة الثانية تبدأ

هكذا « يابوليس الآداب ان زوجتى بالحديقة انها فى الحديقة » وكانت القصص الثالثة والرابعة والخامسة تمضى على هذا النحو « ان زوجتى بالحديقة انها فى الحديقة » والشىء الوحيد الذى يتغير هو الجهة التى يستغيث بها الكاتب ، فمن بوليس الآداب إلى رجال الفضيلة إلى علماء الأزهر إلى الشعب المصرى ، ولم أعرف لماذا فات على المؤلف استدعاء البوليس الدولى وقوات حفظ السلام وقوات عاصفة الصحراء !

وكتبت مقدمة للأديب الواعد بدأت هكذا « هذا كاتب متقدم على الفصيلة الأولى مندفع نحو الشفق مضروب على قفاه » وعشر صفحات من هذا النوع « المترامى فى اللانهائى المتوازن مع الشواشى العليا للبروجوازية المتحالفة مع الاردوازية المصنوعة من عجين أصفر شفاف » وأنهيت المقدمة بتقرير للكاتب الواعد « وهذا الكاتب ينبغى تكريمه برجمه بكتل الذهب والفضة ليكون عبرة للآخرين حتى لايفكر أحد مثله فى الكتابة ،لأن هذا النوع من الكتابات الساحرة يمكن أن ينقلب سحرها فيقتل قارئها وبائعها وحاملها وطابعها ، مع ان الزمان لوأنصف وعدل لكان القتل من نصيب كاتبها .. فهذا هو الجزاء الوحيد لمن يرتفع بفنه إلى عنان السماء فيكون له المسير والمصير والعصير أيضا .

وتصورت أن الكاتب الواعد إياه عندما يقرأ مثل هذا الكلام الفارغ سيكتشف ان كاتبه رجل معتوه وانه سيمزق الأوراق وينثرها فى الهواء . المهم ان الكاتب الفاضل عاد بعد أيام وتناول المقدمة وفرح بها فرحا شديدا وحملها معه وانصرف مسرعا من دار المجلة ، ومرت أيام وأسابيع وذات مساء وأنا خارج من دار سينما مترو سمعت نداءات من باعة الصحف كلها تصرخ بالصوت الحيانى اقرأ كتاب فى سبيل الحياة ، مقدمة للكاتب الكبير محمود الصعيدى . نسيت أن أقول لكم اننى بعد أن انتهيت من تدبيج المقدمة الخالدة وقعت تحتها باسم محمود الصعيدى عضو جماعة كبار الأدباء . واشتريت نسخة من الكتاب دفعت فيها عشرة قروش كانت تكفى وقتئذ لشراء نسخة من كتاب طه حسين ، وذهبت بها إلى دار الجمهورية وقدمتها للأستاذ كامل الشناوى ، الذى استغرق فى نوبة من الضحك أمسك بعدها سماعة التليفون وراح يتصل بكل من يعرفه طالبا منه شراء

نسخة من كتاب فى سبيل الحياة وقراءة مقدمة الكاتب الكبير محمود الصعيدى !

ولاشك أن كامل الشناوى الذى كان على علاقة شخصية بنصف شعب مصر قد نجح فى لفت الأنظار إلى الكتاب الذى بيعت كل نسخه الألف فى يومين اثنين ، وكانت فضيحة دفعت المرحوم يوسف السباعى إلى كتابة مقال « مطلوب قانون لحماية المغفلين من محمود السعدنى » ولم يدرك الكاتب الواعد ان المقدمة التى كتبها محمود الصعيدى هى مجرد مقلب من الصحفى محمود السعدنى إلا بعد أن قرأ مقال يوسف السباعى فجاء ثائرا متذمرا ، ولكن الزميل الفنان حسن عثمان ـ مد الله فى عمره ـ أقنعه بأنه حدث خطأ ما فذهبت مقدمة الصعيدى لكتابه وذهبت مقدمة السعدنى لكتاب آخر وهى غلطة سببها سوء الخط ووعدناه بمقدمة جديدة لكتابه الجديد فشكرنا واعتذر لنا عن سوء ظنه .

ولقد شجعنى إعجاب كامل الشناوى بالمقلب إياه إلى تدبير مقلب لكامل الشناوى نفسه ، كان كامل الشناوى من أكرم خلق الله وكان يجلس على مائدته كل مساء دستة من الأصدقاء بينهم المطرب المشهور والملحن المعروف والرأسمالى الكبير والصحفى الصاعد والأديب الشاب والوزير السابق والمسئول الحالى ولكنه كان يصر دائما على دفع الحساب وكان يضطر أحيانا إلى الاقتراض من البنوك لتسديد الفواتير ، وكان يرفض بشدة أن يتولى أحد آخر دفع الحساب فى حضرته ، وفى بعض الليالى كان يسهر فى مكتبه بالجريدة وكان يتردد عليه يوميا عشرات من الصحفيين الشباب والأدباء الصاعدين والفنانين والموسيقيين ، وكان يكتب مقالاته وسط هذا الجو المزدحم المخنوق بأنفاس الناس ودخان سجائرهم ، وذات مساء رفعت سماعة التليفون واتصلت بمحل أبو شقرة الكبابجى ، وقلدت صوت كامل الشناوى وطلبت خمسة أجواز من الحمام وجوزين من الفراخ المشوية وخمسة أرطال من الكباب ومثلها من الكفتة مع مستلزماته من العيش والسلاطات . ثم اتصلت بمحلات الشيمى وطلبت نفس المقطوعية ، ثم اتصلت بمحلات الخميس وطلبت ملوخية بالأرانب وبطيخة وعشاء يكفى لعشرة أشخاص ، ثم اتصلت بالحاتى وفعلت نفس الشىء ، وجلست

فى مكتب كامل الشناوى أنتظر وكأن شيئا لم يكن وبراءة الأطفال فى عين العبد لله ! وبدأت الصوانى تنهال على مكتب كامل الشناوى صوانى كباب وصوانى كفتة وصوانى ملوخية بالأرانب وصوانى كبدة وكلاوى وصوانى فراخ وصوانى حمام ، كميات هائلة من اللحوم والطيور تكفى قبيلة من قبائل الجاهلية ، وفى كل مرة يضرب كامل الشناوى كفا بكف ويصرخ فى وجه حامل الصوانى .. من اللى أمركم بده ؟ وكان الكل يؤكد أن كامل بيه الشناوى هو الذى أمر باحضار المأكولات ، ويضطر كامل بيه إلى الدفع ، ولم يجد مفرا من استدعاء جميع المحررين وجميع العمال وجانبا من القراء لالتهام مالذ وطاب . وعرف كامل الشناوى بعد فترة أن العبد لله هو الذى دبر المقلب إياه وما أشد دهشتى عندما غضب كامل الشناوى غضبا شديدا وقاطعنى لمدة اسبوعين ، ثم لقننى درسا بليغا وضربنى مقلبا لم يتمه ، ولكنه كان رسالة واضحة حتى لاأعيد ممارسة مقالبى معه هو بالذات !

ولكن المقلب الذى دبرته فى روز اليوسف لم أسع إليه ولم أبحث عنه ولكنه جاءنى وأنا جالس فى صالة التحرير مع الفنان المرحوم جمال كامل والفنان أبو العينين والفنان حسن فؤاد والفنان بهجت عثمان وآخرين . فجأة دق جرس التليفون وكان المتحدث هو الأستاذ سعد مكاوى القصاص المعروف ، وهو رجل مهذب وخجول ولايعرف المزاح ، وأبلغنى بأنه أرسل لى موهبة شابة وجديدة فى عالم الغناء ، وأنه يتصور اننى قادر على المساهمة فى شق الطريق أمام صاحب الموهبة ، وشكرنى مقدما على الجهد الذى سأبذله فى هذا المقام ، وبعد قليل جاء أحد السعاة بكارت من سعد مكاوى وبه توصية منه لصاحب الموهبة .

وبعد قليل دخل شاب أقرع أعمش نحيف قصير يشبه تكوينه الجسمانى تكوين الممثل الراحل عبدالسلام محمد ، بالاضافة إلى مئات من البثور والدمامل تغطى وجهه ، وتصورت ان صاحب الموهبة الجديدة عبقرى فى القصة أوالرواية وربما فى الموسيقى ، وربما هو عالم شاب فى الفيزياء ، وربما كان مشروع عالم فى طريقه إلى اختراع القنبلة الذرية، كل هذا وارد وممكن ولكننى فوجئت بأنه مطرب جديد، وأكثر من ذلك إيمانه الشديد بأنه سيكون منافسا كبيرا لعبدالحليم حافظ وفريد الأطرش وربما للست أم كلثوم . دمامل ومطرب .. !؟ هذا هو المستحيل !

تحركت على الفور غريزة المقالب فى العبد لله ، طلبت من المطرب الجديد أن يسمعنى صوته فاطرق برأسه خجلا وقال بصوت هامس .. أنا أصلى بنكسف . طلبت منه الوقوف ووجهه للحائط والغناء حتى نحكم له أوعليه ، وطلبت من الجميع أن ينصتوا وقام بالفعل ووضع وجهه فى الحائط وبدأ يغنى أغنية لفريد الأطرش من تلحين مدحت عاصم ، كان يغنى للداخل فلايسمعه أحد إلا من كان على بعد عدة سنتيمترات من مكانه . طلبت منه أن يرفع صوته فحاول لكنه فشل . مددت يدى ولزقته على قفاه فانتفض غاضبا ومحتجا ، صرخت فى وجهه يبقى كدة هتفشل ولايمكن أن تحقق أى نجاح فسأل عن السبب فقلت له هذا اختبار القفا ! أراد بعض التوضيح فقلت له أنت الآن منافس لعبدالوهاب وفريد الأطرش وعبدالحليم حافظ ، وأنت رجل خجول بطبعك وقد يعمد هؤلاء الكبار إلى دس أحد الأفراد ليلزقك على قفاك لكى تتوقف عن الغناء وتهجره وتترك الميدان فسيحا أمام هؤلاء ، فهل تتوقف ؟ أم تواصل الغناء ؟ فقال .. أواصل الغناء قلت إذن غن ، فعاد يغنى أغنية لأسمهان « ياحبيبى تعالى الحقنى شوف اللى جرالى » دلقت على قفاه كوب ماء مخلوط بالألوان من مخلفات جمال كامل ، توقف عن الغناء محتجا فقلت له ده اختبار المية فلما اطمأن إلى أنها مراحل عملية لاختياره كمطرب من مطربى المستقبل ، انتقل إلى الغناء مرة ثالثة ورابعة وخامسة وفى كل مرة كنت أجرب معه اختبارا مختلفا حتى وصل إلى اختبار الشلوت ، فقد ضربته بالشلوت فانكفأ على وجهه على أرض الحجرة بينما كان جمال كامل ينبطح هوالآخر ويمسك أحشاءه بيديه ، أماالفنان بهجت فقد هرب من الحجرة واستدعى كل من كان فى الدار ، أماأبوالعينين فقد دخل حجرة إحسان عبدالقدوس وجاء به من يده ليتفرج على آخر ضحايا محمود السعدنى . قدمت إحسان عبدالقدوس للمطرب الشاب على انه أحمد بدرخان المخرج وقدمت له ورقة بيضاء على انها عقد للقيام ببطولة ثلاثةأفلام .

لم يتمالك احسان نفسه فقال لى وهو يغادر الحجرة على عجل : حرام عليك ده راجل غلبان . قلت له ده مطرب ، بعد أن تمت جميع الاختبارات وحكمنا له بمستقبل زاهر سعيد بإذن الله ، كتبت له كارت توصية للسيد

مـدير الضمان الاجتماعى بـو زارة الخارجيـة ونصحته بـالتـوجه غـدا إلى وزارة الخارجية بميدان التحرير لمقـابلة سعادة مدير الضمان الاجتماعى ، لكى يفتح الطريـق أمامه فى الاذاعـة إلى المجد والشهـرة والصيت العريض ، ووضعت الكـارت فى مظروف من مظـاريف روز اليوسف ، وطلبت منـه أن يخبرنى أولا بأول عن الخطوات التى سيقطعها فى عالم الفن والشهرة .

كانت الأحوال فى مصر فى ذلك الحين قلقة وغير مستقـرة ، وكانت المعركة قد بـدأت تتصاعد بشـدة بين حكومة الثورة فى القـاهرة ونظام عبـدالكريم قاسم فى بغداد ، وكانت كل المبانى الحكوميـة تخضع لرقابة شديدة ، وكان يجرى تفتيش الزوار قبل الدخول . فى وسـط هذا الجو ذهب المطرب الشاب إلى وزارة الخارجية وطلب مقـابلة مديـر الضمان الاجتماعى فى الوزارة ولما كان شكله يبعث على الر يبة كما أن الشخص الذى يـريد مقابلته لاوجود له فى الوزارة فقد سـاقوه إلى مكتب الأمن ، فلما أخبرهم بانه مطـرب تأكدوا انه إمامجنون أو إرهابى ، ففتشوه وسـألـوه عن بطاقته ولكنه لم يكن يحمل أى شىء فأحالوه إلى مكتب المباحث العامة بـلاظوغلى واختفى هناك ثلاثة أيام خرج بعدها إلى دار روز اليوسف لمقابلتى ، فقد تصور أن هناك خطأ ما.

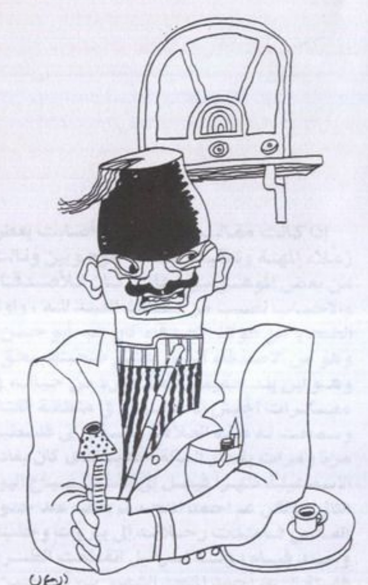
عندمارأيتـه أشفقت عليه بشدة فقد كان قفاه مثل قفـا مطرب الأخبار ، والاجهاد الشديد يبدو عليه . لقد أثر الحادث فى نفسه تأثيرا شديدا ولم يكن يتصور أن يعامل على هذا النحو بـلاذنب جناه . وبعد أن شرب القهوة طلب منى كارتا آخر للسيد مديرالضمان الاجتماعى بوزارة الخارجية وبشرط أن أحدد لـه موعـدا مع المدير بـالتليفون ، واتصلت بـالفعل تليفونيـا بصديق بـالجيزة الحاج إبـراهيم نافع ، وطلبت منـه موعـدا للفنان الشـاب وحكيت للحـاج إبراهيم مـاجرى لـه على يد رجال الأمن الأشداء وحـددت السـاعـة العاشرة من صبـاح اليوم التالى للمقـابلة فى مكتب المدير بـوزارة الخارجية بميدان التحرير ، وفرح الفنان الشاب فـرحا شديدا وتناول الكارت بحرص شديد ووعـدنى بأن يخبرنى بما تم فى المقابلة بعد خـروجه من مكتب المدير وقـال لى جمال كامل بعـد انصراف المطرب : يـامحمود فى المرة الأولى كـان مقلبا وفى هـذه المرة أنت ترتكب جـريمة . وقلت لجمال كـامل .. ياعم جمال لاعـزاء للمغفلين وأقول لكم فى الحقيقـة وفى الـواقع إن العبـد لله لم يعـرف

حتى هذه اللحظة ماحدث للمطرب الشاب الصـاعد الواعد لأننى بعد يومين فقط من لقـائى الأخير به زارنى فى الفجر فى منـزلى ضـابط مباحث مهـذب اسمه طـوسـون ورجانى أن أذهب معـه إلى مبنى المباحث العامـة فى الجيزة لأمر بسيط لم يستغـرق أكثر من خمس دقائق ، وصدقتـه وذهبت معه ولم أر بيتى إلابعد عامين من هذا التاريـخ . وأقول لكم الحق كلما مرت بذاكرتى حادثـة المطرب الشـاب وأنا رهين سجن الـواحات ، طـاف بخاطـرى ان ما أعانيه فى السجن هو تخليص ذنب المطرب الصـاعد الذى كان وجهه يختفى وراء عشرات ومئات الدمامل والبثور .

أين ذهب المطـــرب ؟ أين اختفى ؟ ألايـزال حيـا يـــرزق ؟ هل ضـاع فى الكازوزة ؟ مسكين .. لقـد جاء قبل زمانـه ، ولو أنـه جاء هذه الأيـام لصار واحـدا من كبار المطـربين ، لأننى لاأرى فـرقا كبيرا بينـه وبين عشرات من اللامعين المشهورين مطربى هذه الأيام ، نسأل الله النجاة منهم ومن شرهم آمين يارب العالمين .









النجاشى يزيد بن معاوية

إذا كانت مقالب العبد لله قد أصابت بعض زملاء المهنة وتعقبت انصاف الموهوبين ونالت من بعض الموهومين ، فقد كان للأصدقاء والاحباب نصيب من مقالب العبد لله ، واول الضحايا من هؤلاء الاصدقاء كان عم« أبو حسن » وهو من الاصدقاء الذين اعشق صحبتهم بحق . وهو ابن بلد حقيقي عمل فترة من حياته في معسكرات الجيش الانجليزى في منطقة القناة وسمحت له هذه العلاقة بالسفر إلى فلسطين مرة ومرات بقطار السكة الحديد الذى كان يغادر الاسماعيلية ظهراً فيصل إلى القدس صباح اليوم التالى ، ولكن عم احمد المنجد لم يقف عند حدود القدس فامتدت رحلاته إلى بيروت وحلب ، وبعد قيام دولة اسرائيل انقطعت الطرق فاستقال عم أحمد المنجد الشهير بـ« أبو حسن » من الأورنس وافتتح محلا لبيع الاقمشة الصوف وبالذات صنف الامبريال ، وهو النوع المفضل لدى العمد والاعيان لصنع العباءات .

بدأت معرفة العبد لله بالمعلم « أبو حسن » في عام ١٩٥٠ ، وكان الرجل



قد بلغ الخامسة والخمسين ، وراء ظهره خبرة طويلة وتجربة عريضة مع الحياة والناس، وكانت المناسبة أننى أشتريت من محل « أبو حسن » قطعتين من القماش الانجليزى الممتاز ، ثم اكتشفت أن الفلوس التى معى لاتكفى إلا لشراء قطعة واحدة ، ولكن العم « أبو حسن » أقسم بجميع الاولياء والصالحين أن القطعتين لى ، وانه لن يتقاضى من ثمنهما مليما واحدا إلا فى زيارتى التالية للأسماعيلية ، ثم قال وهو يرمقنى بنظرة حادة: عيب ياأستاذ ، دنا من العبابدة !! ولم أهتم وقتها بالسؤال عن العبابدة التى هو منها ولكن هذه المسألة تكررت أكثر من مرة على لسان « أبو حسن » دنا عبادى ياأستاذ ، أصل احنا عبابدة يابيه !!

سألت « أبوحسن » فى النهاية عن العبابدة ، فذكر لى بأنها قبيلة عربية ينتمى اليها « أبو حسن » وهى ليست مجرد قبيلة ولكنها أصل العرب ، منها ـ كما روى أبوحسن ـ عنتره بن شداد والشاعر الأعشى وسيدنا أبو بكر ومعاوية أبى سفيان والإمام الشافعى وشكرى القوتلى ومحافظ بورسعيد .وكان العم « أبو حسن » يحشر اسم القبيلة فى حديثه بمناسبة وبدون مناسبة ..

تصدقوا بالله .. انا أعرف البطيخة الحلوة من غير ما افتحها أو حتى المسها فأنا عبادى يا أستاذ .. كان عاوز ينصب على لكن على مين ؟ دنا عبادى يابيه !!

وهكذا اختمرت الفكرة فى رأس العبد لله لابد من تدبير مقلم للمعلم «أبوحسن» يكون درسا له وللعبابدة التى هى أصل العرب ، ليس قحطان كما يزعمون أو عدنان ، واتفقت مع الكاتب المسرحى عبد الرحمن شوقى على إعداد المسرح لتدبير المقلب المطلوب ، ولم يكن المسرح إلا شقة وسط الاسماعيلية عند أحد الاصدقاء ، وجهاز تسجيل سجلنا عليه بصوت العبد لله حديثا عن الأنساب العربية للشيخ عبد السلام العجيلى مفتى حلب ، وتذيعه إذاعة حلب السورية ، واخترنا حلب بالذات لأن أبو حسن كان معجبا بحلب على نحو خاص ..

واللى خلق الخلق .. حلب دى أجدع بلد من غير مؤاخذة ، وفيها مخانات تشرح القلب وترد الروح ، تخشى المخانة من دول تلقى الناس قاعدين لابسين تزالك فى رجليها ، التزلك من دول يحتاج علبة ورنيش عشان يلمع

زى الجنيه الدهب ! كان أبو حسن قد زار حلب أكثر من مرة ، ولأنه كان حشاشا من طراز فريد ، فقد أسرته مدينة حلب واستولت على قلبه ..

يا أستاذ أنت قاعد فى المخانة من غير مؤاخذة والجوزة فى ايدك تلاقى قدامك صحن مليان مشمشية وتين ناشف من النوع الى ما بنشوفوش فى مصر غير فى رمضان المهم أننا سجلنا الحديث على جهاز التسجيل ، واخفيناه تحت طاولة تحمل جهاز راديو من النوع العتيق ، جهاز راديو تسمع منه كلاما ودوشة فى حجم حركة قطار سكة حديد بالبخار ، وجاء أبوحسن وبدأنا السهرة ، أنهمك أبوحسن فى إعداد الجوزة ورص المعسل وكان يبدو فى أحسن حالاته وهو فى مرحلة الاستعداد للمزاج ! المهم كان جهاز الراديو الكهنة يصدر خروشة تصدع الدماغ ، عندما طلبت من عبدالرحمن شوقى أن يبحث لنا فى الراديو عن محطة جيدة نستمع منها إلى شىء مفيد ، نهض عبد الرحمن من مكانه وأغلق الراديو وفتح جهاز التسجيل ، وبدأت الموسيقى العسكرية ثم صوت العبد لله يعلن للمستمعين عن بدء برنامج إذاعة حلب العربية ، ثم تقديم البرنامج الذى سيستمع إليه المواطنون على الفور ، وهو عن الأنساب العربية ، ونبدأ بقبيلة العبابدة !

وبدت الدهشة الممزوجة بالزهو على وجه المعلم أبو حسن ، ثم ترك كل شىء وتفرغ لسماع البرنامج ودعانا إلى الانتباه ، وبدأ حديث العالم العلامة وأكبر الفهامة فضيلة مولانا الامام الشيخ عبد السلام العجيلى .. الذى هو العبد لله ، يستعرض تاريخ قبيلة العبابدة ، التى تضرب أصولها فى بطن التاريخ إلى سيف بن يزن والجوش والنجاشى والملك ريتشارد قلبَ الاسد وقائد معركة داحس والغبراء كنعان بن أبو سريع !

بعد هذه المقدمة الرائعة عن العبابدة والتى ادهشت العم الطيب «أبوحسن» وجعلته يرعش حاجبيه قبل أن يصيح صيحة انتصار وهو ينظر إلينا نظرة لها معنى:

شفت يا أستاذ ..

ولأول مرة فى التاريخ ينشغل أبو حسن بشىء آخر غير الحشيش .. أزاح الجوزة جانبا وجلس على ركبتيه وكأنه يؤدى الصلاة ، وانتهز فرصة فاصل موسيقى بين المقدمة وصلب الموضوع ، وراح يبدى رأيه فى المحاضر: دا راجل من غير مؤاخذة قفه ولايفهم أى حاجة ، ثم يضرب

جبهته براحة يده ويقول : « كانوا جابونى انا ياأستاذ كنت قولتلهم على سيدنا أبو بكر وسيدنا الخضر » ثم لزم أبو حسن الصمت وجلس هادئا عندما أفهمناه بأن برنامج الاذاعة لايزال له بقية ، واستغرق أبو حسن فى التفكير والشيخ عبد السلام يستعرض تاريخ العبابدة الذين كان منهم أبوبكر وعثمان ويزيد بن معاوية والحسن البصرى وابن قرمط صاحب القرامطة والسلطان شيحا الذى كتب له زكريا الحجاوى برنامج اذاعيا مشهورا باسم ملاعيب شيحة . ولا يفوتنا أن نذكر لحضراتكم أن زكريا الحجاوى من العبابدة أيضا ، هنا ضرب أبو حسن فخذه بيده ضربة قوية وصاح :

ـ ياقوة الله عشان كده أنا قلبى انفتح للراجل دا أول ما شفته . وراح الشيخ عبد السلام العجيلى المزعوم يستعرض أسماء الرجال البواسل من قبيلة العبابدة من أول خالد بن الوليد وعبد الرحمن الداخل إلى اللواء مصطفى متولى مدير كلية الشرطة إلى المقدم حسن رشدى ضابط المباحث العامة بالأسما عيلية إلى عم أحمد المنجد الشهير بـ « أبو حسن » !!

هنا ضحك أبو حسن ضحكة طويلة حتى استلقى على ظهره ، وتصور العبد لله ، انه كشف الملعوب : ولكنه عندما انتهى من نوبة الضحك التى هاجمته قال مندهشا :

ياولاد الهرمة .. دا عارفين كل حاجة !! تصدق بالله ياأستاذ مفيش جنس حاجة بتستخبى دلوقت ، فيه مغناطيس بيقولهم على كل حاجة ، وبعدين ، دا حمار ، كان لازم يقول أبو حسن اللى ساكن فى التلاتين . ولوكانوا جابونى أنا أقول .. كنت أقول أحسن منه ، دا ما قالش عن الحاج سليم العبادى اللى كان عضو مجلس الأمة . وما جبش سيرة محمود بك السيسى اللى كان مدير الحسابات فى العريش ، وفين عم خليفة معوض الجناينى بتاع هيئة قناة السويس أيام الجماعة الفرنساو ، واللى كان بياخد ماهيه ١٠٠ جنيه فى الشهر سنة ٣٩ يا أستاذ !! وراح عم « أبو حسن » يستعرض أفراد القبيلة حتى جاء ذكر والده ، فقال :

ـ الوالد الله يرحمه كان شيخ الصيادين فى الأسماعيلية ،وكان يقعد ع القهوة والصيادين يروحوا البحيرة ويجيبوا الرزق ويبدأ المزاد ، ويوم ماولدتنى امى خدتنى خالتى وأنا حتة لحمة حمرا ونزلت الشارع وراحت

لأبويا على القهوة ، باسنى وراح واخد نفس حشيش ونفخه فى وشى .. أمال كانوا رجالة بصحيح ، مش العيال بتوع اليومين دول ، يشرب نفسين يدوخ ويطرش !! مفيش عبادى يابيه يتهز من أى حاجة !!

كنا قد تركنا جهاز التسجيل مفتوحا عن عمد ، وسجلنا حديث «أبوحسن» كاملا ، وهنا كلفت عبد الرحمن شوقى بالبحث عن محطة أخرى لنستمع شيئا مفيدا ، وأدار عبد الرحمن شوقى جهاز التسجيل وانساب صوت « أبو حسن » يعيد حديثه الذى سمعناه ، ولما كان أبوحسن لم يستمع من قبل إلى صوته مسجلا .. لذلك لم يتعرف عليه وراح ينصت من جديد بشغف إلى الحديث الذى يتناول جميع أفراد قبيلة العبابدة ، وكان شريط التسجيل ينقل الينا بين الحين و الحين الآخر صوت الجوزة وهى تكركر وتزغرد ، وسألنا « أبو حسن » الذى يعرف كل شىء ..

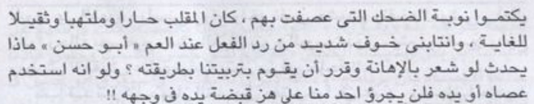
بيشربوا حشيش فى اذاعة حلب ياعم « أبو حسن » ؟

ـ امال يا أستاذ وأجدع حشيش كمان مفيش حته فى حلب ما فيهاش جوزة يا أستاذ ، وبعدين دى ناس بتفهم ، ومفيش مانع يبسطوا الناس اللى هتقول فى الاذاعة عشان مخهم يروق ومزاجهم يبقى عال العال ، مش زى عندنا هنا الناس تبقى قاعدة متكتفة وهى بتقول زى ما يكونوا تلامذة !!

كان الحديث قد وصل إلى نقطة « لما نزلت من بطن امى من غير مؤاخذة ، خالتى نزلت الشارع وأنا حتة لحمة حمرة وراحت لأبويا على القهوة راح نافخ فى وشى دخان الحشيش » هنا فقط انتبه العم أبو حسن إلى أن الأمر ليس على مايرام . بعد لحظة زحف على ركبتيه إلى حيث الطاولة التى تحمل جهاز الراديو ، وعندما اكتشف ان الراديو صامت أنحنى تحت الطاولة ليكتشف أن الصوت يصدر من جهاز التسجيل ..

ولا أدرى .. ما الذى دار فى عقل « أبو حسن » فى تلك اللحظة ، كان وحده هو الرجل الكبارة الذى بيننا ، وكان العبد لله فى السابعة والعشرين ، وكان عبد الرحمن شوقى يصغرنى بعدة أعوام وأيضا محمد صبرى مبدى الذى صار فيما بعد سكرتيرا عاما لنقابة المحامين . كنا شلة من العيال فى نظره ، بينما كان العم « أبو حسن » يعتبر فى نظر الكثيرين من أهالى الاسماعيلية أبو العريف الذى يعرف كل شىء » .

جلس « أبو حسن » صامتا وقتا طويلا ، بينما لم يستطع أفراد الشلة أن



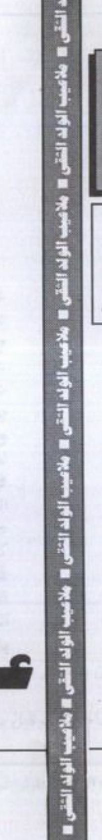
يكتموا نوبة الضحك التى عصفت بهم ، كان المقلب حارا وملتهبا وثقيلا للغاية ، وانتابنى خوف شديد من رد الفعل عند العم « أبو حسن » ماذا يحدث لو شعر بالإهانة وقرر أن يقوم بتربيتنا بطريقته ؟ ولو انه استخدم عصاه أو يده فلن يجرؤ احد منا على هز قبضة يده فى وجهه !!

ومرت لحظات كانها الدهر كله وفجأة .. أطلق « أبو حسن » ضحكته الشهيرة ، ضحكة طويلة رنانة تنتهى دائما بحركة اسكندرانى من الانف .. ثم أستلقى على ظهره قبل ان يقول :

ـ الله يا أستاذ حلوة قوى دى .

ياستر الله ، لقد استحسن أبو حسن المقلب وأعجبه ، فاتت المسألة على خير والحمد لله .. والعواقب جت سليمة كما يقولون .. وعلى الفور نهض أبو حسن ، ارتدى البالطو والعباءة الامبريال ، وكبس طربوشه على رأسه ، وأخفى وجهه بالعباءة .. فقد كانت هذه هى عادته كلما خرج من مكان دافء إلى الشارع ، وتأبط العبد لله ذراعه اليسرى ، وتأبط عبد الرحمن ذراعه اليمنى ، وسحبناه إلى بيته فى شارع الثلاثين ، ولم يكف أثناء الطريق عن الضحك وترديد عبارة « الله يا أستاذ » .. حلوة دى ! ولكنه انقطع بعد ذلك عن لقائنا أو الجلوس معنا ، وتصورت أنه غضب من المقلب ، وإن كان لم يشأ أن يظهر ذلك لنا أثناء القعدة ، ولكنى اكتشفت بعد أن عادت المياه إلى مجاريها أن المقلب لم يغضبه ، ولكن الذى أغضبه هو سلوكنا بعد ذلك ، فقد نشرنا تفاصيل ما جرى بيننا فى الاسماعيلية ، وكانت غلطة .. ولكن ماذا تفعل مع شلة عيال جاءتهم الفرصة للسخرية من رجل عجوز يدعى معرفته بكل شىء ؟!

المهم .. كان مقلب « أبو حسن » هو البداية ، وقد أعطانى ثقة لا حد لها فى قدرتى على ضرب المقالب ، وعلى بركة الرحمن سار العبد لله على هذا الطريق خطوات واسعة ، ولم ينج من مقالبى عواجيز أو شباب ، مسئولون أو صياع ، وإن كانت بعض المقالب قد كلفتنى كثيرا .





علا عالله



كان كبير مشجعى النادى الاسماعيلى رجلا على باب الله ، وكان هذا المنصب الذى وصل إليه عن جدارة واستحقاق هو عمله الوحيد فى الحياة ومصدر رزقه . وكان المهندس عثمان أحمد عثمان رئيس النادى يعطف عليه ويمنحه مبلغا شهريا ، بالاضافة إلى الاكراميات التى كان يجود بها مشجعو النادى من التجار ورجال الأعمال . وكان كبير المشجعين إياه يرتدى بنطلونا كان لعسكرى إنجليزى من قوة جنود الاحتلال فى قاعدة القناة ، وفانلة مخططة تشبه فانلة فريق الترسانة ، وينتعل حذاء كان فيما مضى لأحد صعاليك جوركى الذين فرض نفسه من خلالهم كأديب عالمى ليس له نظير . ويضع فوق رأسه قبعة من الكاوتش ، كانت جزءا من قفة من النوع الذى يستعمله العمال الصعايدة فى نقل التراب والرمل ، بالاضافة إلى نظارة سوداء بلاستيك يخفى بها عينيه .

وكان يتصدر مدرج مشجعى الدرجة الثالثة قبل بدء المباراة بعدة ساعات .

ويبدأ الهتاف قبل بدء المباراة بساعة ، وكانت وظيفته ترديد كلمة

واحدة هى (علا عالله) فيتبعه المدرج كله هاتفا دراويش . فإذا فاز الفريق بالمباراة ترك كبير المشجعين مكانه بالمدرج وهرع إلى حيث يجلس المهندس عثمان وكبار الضيوف ، فيشرح لهم الخطة التى سلمها لرضا وشحته والعربى والسقا ، وهى الخطة التى ضمنت الفوز بالمباراة ، ثم يقبض المعلوم قبل أن يخرج من الاستاد على رأس مظاهرة تطوف الاسماعيلية احتفالا بالنصر فإذا انتهت المباراة بالهزيمة ترك كبير المشجعين مكانه فى المباراة وهرع حيث يجلس الضيوف ثم يقف أمام مدرج الدرجة الأولى يلعن ويسب لمدرب الفريق الذى امتنع للاستماع إلى النصيحة ، وأصر على اللعب بالطريقة الجمحشرية التى لعب بها الفريق وانهزم . وكان كبير المشجعين إياه لايحرم من الحصول على عدة جنيهات من هنا وهناك .

وفى صيف ١٩٦٩ تمكن الاسماعيلى من إلحاق هزيمة ثقيلة بفريق إنجلبير وأصبح بطلا لأفريقا ، وتقرر بعدها أن يذهب النادى الاسماعيلى فى جولة خليجية لجمع بعض الأموال لإزالة آثار العدوان . وذات يوم والعبدلله يحضر تدريبا للفريق فى النادى الاسماعيلى كان يحضره المهندس عثمان أحمد عثمان والدكتور عبدالمنعم عمارة الذى كان وقتئذ مسئولا عن الشباب بمحافظة الاسماعيلية ، وجاء كبير المشجعين بعد انتهاء المباراة وطلب من المهندس عثمان أن تضم البعثة المسافرة إلى الخليج مجموعة من المشجعين يكون هو على رأسهم ، وقال للمهندس عثمان إن النادى لم يحقق فوزه ببطولة افريقيا باللاعبين فقط ، لكن النصر جاء نتيجة جهود اللعيبة والمشجعين معا . وعبثا حاول المهندس عثمان أحمد عثمان التخلص من الحاح كبير المشجعين ، فقد كانت لديه قدرة على التناحة لاتتوافر لمخلوق سواه . وأخيرا سأله المهندس عثمان :

— أنت عندك بسبور وتاشيرة ؟

ورد كبير المشجعين :

— لا ما عنديش ..

فقال المهندس عثمان وهو ينصرف :

— طيب اعملهم وأنا أسفرك .

ورد كبير المشجعين :

— وأنا أعملهم إزاى ؟ أنا مافهمش فى الحاجات دى .

وقال عثمان وهو يشير نحو العبد لله :

— خلاص هوالبيه ده اللى يعملهملك ، هو مسئول الجوازات والتأشيرة.

ولزق كبير المشجعين للعبد لله ، وأخيرا استطعت الافلات منه والوصول إلى سيارتى وقبل أن أهم بالانطلاق سألنى كبير المشجعين طيب أجيلك فين ؟

— هناك .

— هناك فين ؟

— فى المكتب .

وانطلقت بأقصى سرعة فى طريقى إلى القاهرة وفوجئت بعدها بثلاثة أيام بالسيد كبير المشجعين ، بحذائه الانتيكة وبنطلونه العسكرى وفانلته الترسانوية ، وقبعته التى كانت جزءا من قفة فى سالف الزمان ، ينتظرنى على باب مؤسسة روزاليوسف ، وقال لى موظف الاستعلامات انه جاء ليفتح باب المؤسسة فى الساعة التاسعة صباحا فوجد كبير المشجعين واقفا على الرصيف ، وقلت للسيد كبير المشجعين ، ان القانون ينص على أن على كل راغب فى السفر لابد أن يكون معه جواز سفر ، ولكى يكون معك جواز سفر فلابد من شهادة ميلاد وشهادة من جهة العمل بنوع العمل الذى تؤديه والمرتب الذى تتقاضاه ، ونظر كبير المشجعين نحو العبد لله وقال غاضبا :

— وأنا ح جيب الحاجات دى منين أنا ماليش شغلة غير الاسماعينى ، ثم أنا ساقط قيد ماعنديش شهادة ميلاد .

قلت له : بسيطة استخرج شهادة من النادى الاسماعيلى بأنك تعمل به.

وتناثر الرذاذ من فمه وهو يصرخ بأعلى صوته : أنا مابشتغلش فى الاسماعينى الديوان ، أنا بشتغل فى الاسماعينى الكورة !

— يعنى إيه ؟

— يعنى أنا كبير المشجعين ، ودى وهبة من عند ربنا ما حدش إدهالى !

قلت له وأنا أنقر بأصابعى على زجاج المكتب :

— خلاص انحلت ، هات لى طلب موقع من ١٠٠ مشجع إنك أنت كبير

المشجعين ، وإن دخلك من هذه الوظيفة لايقل عن ....
وأمسكت عن الكلام عند هذه النقطة وسألته :
أنت بتكسب كام من الشغلة دى .
تلعثم بعض الوقت ثم قال :
— مابنكسبش حاجة ٥ جنيه يمكن ..
قلت له وقد بدت علامات الأسى على وجهى :
— ٥ جنيه ماتنفعش مش ممكن تأخذ بسبور .
ونطق كبير المشجعين على الفور :
— بنكسب ٥٠٠ .
— يبقى كده انحلت ، هات لى ورقة من ١٠٠ مشجع انك كبير المشجعين وبتكسب ٥٠٠ جنيه فى الشهر ، وما تنساش تجيب أربع صور وفيش وتشبيه .
ولزم كبير المشجعين الصمت بعض الوقت وقال :
— لزمته إيه الفيش والتشبيه ده ؟ أنا ح اشتغل ضابط بوليس ..
قلت له بدون اهتمام :
— مش مهم هات لى ورقة ثانية برضه من المشجعين انك حسن السير والسلوك ، وانك طول عمرك بتشجع الاسماعيلى ، وعمرك مارحت السجن .
وعض كبير المشجعين على إصبعه بشدة وقال :
— والورقة دى لازم كام واحد يمضوا عليها ؟
قلت له :
— ٥٠ واحد كفاية على الورقة دى .
واستأذن فى الانصراف بعد أن منحته جنيهين ، على وعد منه بالعودة فى أقرب وقت . وفوجئت به أمامى بعد ثلاثة أيام ، ومعه الورقة الأولى موقع عليها ١٠٠ مشجع ، والورقة الثانية عليها توقيع ٥٠ شخصا . وألقيت نظرة على الورقتين ، وقلت له على طريقة موظف الأرشيف فى مصلحة الضرائب :
— الورق ده ما ينفعش ..
— ما ينفعش إزاى مش ده الورق اللى أنت طالبه ؟ !

وانجعصت على الكرسى وقلت له مستفيدا من عمليات التعذيب التى عانيتها فى مكاتب الحكومة :
— ياسيد أنت جايب لى أسماء وبس ، مش يمكن أنت اللى كاتبهم ، لازم الامضاءات ورقم البطاقة وعنوان المنزل .
ظهر عليه الضيق الشديد وهو يقول :
— لسة ح ارجع ثانى .
— دى مستندات ياسيد ولازم تبقى مضبوطة ترجع ثانى وثالث لحد ماتستوفى الأوراق .
قفز من فوق مقعده وهتف ووجهه نحو السماء :
— حسبنا الله ونعم الوكيل .
ونفحته جنيهين فهدأ واستأذن بالانصراف على وعد منه بالعودة فى أى وقت ، ومرت أربعة أيام قبل أن أجده أمامى ومعه الأوراق المطلوبة عليها التوقيعات وعناوين المنازل وأرقام البطاقات وقلت له وأنا أحاول أن أبدو فى صورة عبدالمهم :
— عال .. الورق كدة كويس قوى ، فين بقى شهادة الميلاد .
قال وهو ينفخ من شدة الضجر :
— ماقلت لك ماعنديش .
— بسيطة ، هات لنا ورقة تسنين من أى دكتور .
— ينفع دكتور بيطرى ؟
— ينفع قوى ، هو ده الدكتور المناسب ، لأنه ده بيعرف الحمار عنده كام سنة ، من غير الحمار ما يقول أى حاجة .
ونفحته جنيها واحدا هذه المرة فتمهل قليلا فى الانصراف ، وتصنعت الغباء وقلت له :
— يا الله بسرعة لحسن معاد السفر قرب .
وجاء بالفعل بعد عدة أيام ومعه شهادة التسنين من رئيس الوحدة البيطرية بمحافظة الاسماعيلية ، وعليها توقيع الطبيب وخاتمه ، والشهادة تؤكد أن السيد كبير المشجعين فى السادسة والأربعين من العمر ، ويتمتع بصحة جيدة ، وخال من جميع الأمراض . وتسلمت الأوراق ووضعتها فى

دوسيه جديد ونصحته بالسفر الآن والعودة بعد أربعة أيام ، ولم أمنحه أى شيء فى هذه المرة ، ولكنه سألنى قبل أن ينصرف عن السر فى هذه الأيام الأربعة ، فافهمته بأنه لابد من إرسال الأوراق إلى وزارة الأوقاف أولا للتحرى ، فأتى بحركة تدل على احتجاجه الشديد وقال :

— هو أنا صايع من غير مؤاخذة ؟

— ياسيدى دا روتين ولازم نعرف إذا كنت بتأخذ إعانة من وزارة الأوقاف من عدمه ، لأنه لوثبت إنك بتأخذ إعانة من وزارة الأوقاف مش ممكن تسافر .

— أنامابخدش جنس حاجة من الأوقاف، ولا أعرف الأوقاف دى فين .

— خلاص يبقى اطمئن ..

وسافر كبير المشجعين وعدت إلى الأوراق التى أحضرها وقرأت فيها العجب والعبط . فى شهادة حسن السير والسلوك كتبوا الآتى :

(نشهد نحن الشهود على هذه الحقائق ان السيد فلان الفلانى كبير مشجعى النادى الاسماعيلى راجل مسايس ومش بتاع لبط ، وعمره ماغاب عن تشجيع الاسماعيلى لأنه عمره ماراح سجون ولاراح اصلاحيات ، أنه راجل دوغرى من البيت للنادى ومن النادى للبيت ، ويشهد بذلك كل سكان الاسماعيلية كبيرهم وصغيرهم ، كما انه مطيع ولسانه حلو ونفسه حلوة.

وأدركت أن هذه الديباجة من انشائه وهو الذى أملاها على كاتبها ، بعد أربعة أيام جاءنى كبير المشجعين ولاحظ علائم البشر على وجهى سألنى :

— خير .

— مبروك ياعم كل شيء تمام .

— يعنى صاغ سليم .

— سليم ونص كمان ، حتى قالوا عليك انك راجل مسايس ولسانك حلو .

— عشان تعرف .

وكتبت له خطاباإلى مدير عام مصلحة الجوازات والهجرة هذا نصه :

(السيد مدير عام الجوازات والهجرة ، يؤسفنى إبلاغكم بأن النظام الذى تتبعونه حتى هذه اللحظة فى استخراج جوازات السفر للمواطنين ، هو

نظام فاسد من أساسه ، لأنكم تعتمدون على شهادات حكومية وأوراق اميرية مع أن الشعب هو مصدر السلطات ، ويشرفنى أن أكون أول مواطن فى الجمهورية العربية المتحدة يستخرج جواز سفر على الأسس الجديدة ، وهى الأسس التى لابد أن تلتزموا بها فى المرحلة القادمة ! ومن هذا المنطلق أحذركم من رفض استخراج جواز سفر باسمى أومن التأخير فى إصداره ، حيث اننى فى طريقى إلى دول الخليج فى مهمة رسمية لتشجيع فريق الاسماعيلى بطل افريقيا . واعلموا ان أى تقصير من جانبكم سيلقى القصاص المناسب وسينفذ على الفور ، وتقبلوا عظيم التقدير) .

ووضعت الخطاب الذى يشبه الانذار البريطانى لحكومة مصر فى عام ١٩٤٢ ، وأغلقت المظروف وكتبت على المظروف ، السيد اللواء مدير عام مصلحة الجوازات والهجرة ، وسلمته المظروف وطلبت منه الذهاب إلى المصلحة فى صباح اليوم التالى وبشرط أن يذهب مبكرا لأن الازدحام شديد ، ولأن خزانة المصلحة تغلق أبوابها فى الحادية عشرة والنصف صباحا .

كان سفر بعثة الاسماعيلى للخليج فى صباح اليوم التالى لذهابه إلى مصلحة الجوازات والهجرة . وسافرت البعثة والعبد لله معها والأستاذ الراحل نجيب المستكاوى وغبنا فى الخليج ثلاثة أسابيع . وعادت البعثة إلى القاهرة وتخلفت عن السفر ومكثت فى بيروت عدة أيام لأكتشف بعد عودتى أن كبيرا لمشجعين كان ينتظرنى فى المطار عند وصول البعثة وهو يخفى فى جيبه رقبة زجاجة كان فى نيته أن يتفاهم بها مع العبد لله فيما جرى له فى مصلحة الجوازات .

وأصل الحكاية انه ذهب إلى المصلحة فى الصباح الباكر فوجد زحاما شديدا وطابورا كبيرا ولكنه لم ييأس ، فوقف فى الطابور وعندما أصبح أمام الشباك الذى يختفى وراءه الموظف المختص ، كانت الساعة قد بلغت العاشرة والنصف ، وكان من ورائه صف طويل لايمكن أن ينتهى من إنجاز معاملاته قبل عدة ساعات ، وتقدم بالمظروف إلى الموظف ، وعندما فتح الموظف المظروف وألقى نظرة على الأوراق استشاط الموظف غضبا ، فهذا ليس وقتا للهزار وسأله الموظف :

— فين الورق بتاعك؟



فرد عليه باستعلاء :

— ما الورق فى إيدك أهه !

— الورق ده عايز تطلع به البسبور ؟!

— أمال عايز أطلع به شهادة وفاة .

— أنت لازم مخبول .

— وأنا عشان فقير لازم تطلعولى فى الورق عفريت .

— أنت بتشتغل إيه ياواد ؟

— أنا مشجع النادى الاسماعيلى .

— أنت شارب حاجة ياجدع أنت ؟

ثار الناس المنتظرون فى الصف احتجاجا على تعطيل أعمالهم ، فى الوقت الذى ترك فيه الموظف مكانه خلف الشباك ، وخرج إلى الصالة ، وعكم كبير المشجعين من قفاه ، ودخل به مكتب أحد الضباط الكبار .. ومعه الأوراق ، وما إن اطلع الضابط الكبير على الأوراق ، حتى أيقن أن الرجل مجنون ، أو مدمن مخدرات ، فأمر بإيداعه تخشيبة الجوازات حتى ينتهى الدوام الرسمى ، وبعد أن انتهى الدوام سلموه إلى قسم شرطة قصر النيل للتحرى ، وبعد ثلاثة أيام بقسم الشرطة قاموا بترحيله إلى الاسماعيلية ، ولأنه معروف فى الاسماعيلية فقد تمكن من مغادرة محبسه بعد يومين ، وأقسم أمام جميع المشجعين أنه سيفتح كرشى برقبة زجاجة عند عودتى من الخليج .

وعندما عرفت أنه قادم إلىّ فى مكتبى استعديت للقائه بالبطل محمد عفيفى ، وهو ابن شقيقتى ، وهو فى الوقت نفسه بطل مصر وأفريقيا فى لعبة الجلة وهو اللهم صلى ع النبى يفطر فى الصباح ٤٠ بيضة ، ويلتهم راس عجل وجوزين كوارع عجالى فى الغداء ، ويشرب جالون لبن فى المساء ، وأقة جبنة و ٣ كيلو خيار ومثلها طماطم وبطيخة ، وكف إيده فى حجم فردة كاوتش أتوبيس ، وجاءنى كبير المشجعين وعلى وجهه غضب الشياطين جميعا ، ولكنها ـ حكمة الله ـ عندما رأى محمد عفيفى أصبح لطيفا ومهذبا ، وجلس فى هدوء يقص علىّ تفاصيل ما حدث له فى المصلحة ، وطلبت منه وصفا كاملا للموظف الذى فعل معه هذه الفعلة النكراء ، فوصفه لى

بالتفصيل . وهززت رأسى وقلت له :

— أنت راجل حظك وحش ، الموظف ده أنا أصدرت قرارا بفصله ، واليوم اللى أنت رحت له فيه كان آخر يوم له فى الوظيفة ، ولما شاف إمضائى حب ينتقم منك !!

— رفع كبير المشجعين يديه إلى السماء وهتف : ربنا ينتقم منه !

وقلت له بعد تفكير عميق :

— خيرها فى غيرها .

وتوسل إلى كبير المشجعين أن أذهب معه فى المرة القادمة لكى استخرج له الجواز بسهولة وبدون مشاكل ، ووعدته أن أفعل ذلك عندما يحين الوقت . ونهض فى أدب شديد وهو يدعو للعبد لله بالصحة وطول العمر .

ولكنه كان طول الوقت يختلس النظر من تحت لتحت لمحمد عفيفى الذى كان جالسا على المقعد الفوتيل كأنه فيل ساعة القيلولة .

وآمنت وقتئذ بأن الأدب فعلا فضلوه على العلم !!







نادى الشموخ



هل تذكرون الكابتن رفعت الفناجيلى ؟ إنه واحد من ألمع لعيبة الكورة فى العالم العربى ... وكان كابتن النادى الأهلى المصرى وكابتن المنتخب أيضا .. ولأنه دمياطى .. فقد أطلقت مدينة دمياط اسمه على أهم شوارعها . ولعب دوليا عام ١٩٤٨ ، واشترك فى أوليمبياد لندن ، وكان أصغر أفراد الفريق المصرى ، فلم يكن قد تعدى السابعة عشرة من عمره . وكان الضيظوى هو كابتن الفريق المصرى .

ولأن رفعت الفناجيلى كان كأهل دمياط حريصا وليس بخيلا ، فقد احتفظ بمكافأته وبدل سفره فلم ينفق منهما شيئا وانتهز الضيظوى الفرصة فصرف له النقود الاسترلينية بنقود مصرية ، خمسون قرشا مصريا مقابل كل جنيه انجليزى ! وبالرغم من أن الفناجيلى يعتبر من ابناء جيلى ، الا أننى لم أره الا فى عام ١٩٦٨ عندما كان النادى الاسماعيلى فى جولة بمنطقة الخليج ولأن صفوف الاسماعيلى لم تكن مكتملة بسبب الاصابة ، فقد استعان المدرب ببعض النجوم من الفرق المصرية ، وكان من بين هؤلاء رفعت الفناجيلى من الأهلى ، ومصطفى رياض من الترسانة ، والسوبرى من الأوليمبى السكندرى .

وذات عصرية .. والعبد لله ناصب القعدة فى بهو الفندق . الدشداشة صوف انجليزى فاخر ، والعباءة من أغلى أنواع الوبر ، وبين أصابعى عصا



من الكريز مقبضها من العاج الافريقى المعتبر . ورأيت الكابتن سيد عبد الرازق يقتحم باب الفندق ويهرول نحوى مسرعا ، واقترب منى ومد يده مصافحا ، ثم انحنى على يدى يقبلها . وعندما سألته عما اصابه قال ... إن رفعت الفناجيلى فى طريقه الآن الى الفندق ونريد منك أن تجعل نفسك شيخا لمدة دقائق فقط ، لكى نرى كيف سيتصرف رفعت الفناجيلى أمام هذا الموقف الذى لم يواجهه من قبل .

كنت أعرف أن رفعت الفناجيلى يحب النقود أضعاف حب قيس للست ليلى ، وانه حريص .. الداخل عنده مفقود ، والخارج من عنده اندر من الثلج فى صحراء العرب ، ورسمت نفسى عندما أبصرت رفعت الفناجيلى على باب الفندق . وما إن اقترب منى حتى هوى بين يدى يقبلها كل من سيد عبد الرازق وعلى ابو جريشة .

ونظر رفعت الفناجيلى نحوى فنصحه سيد عبد الرازق بالسلام وتقبيل اليد . وبالفعل ... انحنى الفناجيلى فصافحنى وانهال على يدى تقبيلا ، والعبد لله يتمتم .. استغفر الله .. استغفر الله وكلما توقف رفعت عن التقبيل ، دفعت بكف يدى نحو فمه لكى يواصل التقبيل . وأفسحت مكانا لرفعت الفناجيلى بجوارى ، ورحبت به فى (بلاده) ثم سألته :

● إيش تعمل انت ؟

ـ أنا سنتر هاف .

وتصنعت عدم الفهم ، وقلت له :

ـ هادى شركة ولا مؤسسة ؟

ونظر رفعت الفناجيلى نحوى بدهشة ، وقال وهو يضغط على الحروف :

ـ أنا بالعب كورة . وبالعب سنتر هاف .

قلت بدهشة أكبر من دهشته :

ـ تلعب كورة .. ياسبحان الله !!. وأش اسمك .

ـ أنا رفعت الفناجيلى ، أنت ماسمعتش عنى ؟

ـ لا .. والله أنا اسمع فى صالح سليم ، رضا ، شحته ، حمادة امام .. سيد بازوكا .. على ابو جريشه .. مابعرف غيرهم

ومال رفعت الفناجيلى على أذنى وهمس لى :

ـ كل دول ولا حاجة ، أنا بقى اللعيب الحقيقى .وأنا اللى بجيب الأجوان .

قلت بصوت مرتفع :

ـ أنت تجيب الاجوان ؟

ـ نعم .. حتى اسأل عنى .

ـ طيب ليش .. ماتشتغل عندى ؟

ـ وحضرتك بتشتغل إيه ؟

ـ أنا شيخ قبائل الشموح .

ـ أيوه أنا عارف ، لكن هاشتغل عندك ايه ؟

ـ لعيب كورة .

ـ فين ؟

ـ فى النادى بتاعى ؟

ـ وحضرتك عندك نادى .

ـ كيف ما تعرف .. جاهل انت ؟

ـ عدم المؤاخذة ياجناب الشيخ .

واسترسلت فى الحديث عن النادى الذى أملكه ..

ـ دا نادى خصوصى عشان الأسرة ، واسمه نادى الشموح ، القبيلة اسمها الشموح ، والنادى اسمه الشموح ، وعندنا ستة لعيبة شموح والباقى من برة ، واحد من البرازيل .. هادا ياخد مليونى ريال وواحد من المجر هادا ياخد ٨٠٠ ألف ريال ... وعندنا واحد من افريقيا بياخد نصف مليون ريال ، وعندنا واحد من تونس بياخد المبلغ نفسه . وناقص واحد ح نعطيه نصف مليون ريال وبيت وسيارة ، بينى وبينك كنت أفكر فى سيد بازوكا . لكن لو أتأكد انك انت اللى بتجيب الأجوان ، تبقى انت أفضل !

كان سيد عبد الرازق يقف على مقربة منا ، فبادر قائلا :

ـ ياسعادة الشيخ ، أنا بعت تلغراف للست والدتى امبارح عشان افرحها ومش معقول تتفق مع حد تانى .

وأشرت عليه بالصمت قائلا :

ـ ما تتكلم كتير ، والشغل دا قسمة ونصيب ، وأنا وعدتك .. آه ، لكن اللى فى علم الله هو اللى هيمشى !

ومال رفعت الفناجيلى على أذنى مرة أخرى وهمس لى :
ــ دا سيد هنكار .. يعنى كلمنجى ، وأنـا بقـول لسعـادتك اسأل عنى وهتعرف .
طمأنته قائلا :
ـ طبعا راح نسأل .. وكل شىء هيتم خلال يومين ان شاء الله .
فى هـذه اللحظـة دخل المهنـدس عثمان أحمد عثمان من بـاب الفنـدق ، فأسرع اليـه سيد عبد الـرازق وهمس فى أذنه بشــىء . وما إن اقترب عثمان من العبدلله ، حتى صـافحنى منحنيا وخطفت يدى من يده قـائلا .. استغفر الله .. استغفر الله .. ثم قلت :
ـ انت وينك ياعثمان ، سألت عنك مـرتين ، ثم كيف تيجى هنا وما تفوت على ؟
فقال عثمان معتذرا :
ـ والله أنا مشغول لشوشتى ، لكن مع ذلك أنـا غلطان وباعتذر ياسعادة الشيخ .
ولم يعـد عنـد رفعت الفنـاجيلى اى شك فى ان الجالس الى جـواره شيخ بحق وحقيق ، وصاحب نادى كورة هو نادى الشموح .
ولازمنى رفعت الفناجيلى من ركن الى آخر فى بهو الفندق ، لمحت فى عينيه رغبة شـديدة فى أن يختلى بى على انفـراد ، هيأت له الفرصـة بأن استأذنت من الجالسين فى الذهاب الى دورة المياه . وفـوجئت عند خروجى من الحمام بـالكابتن رفعت الفنـاجيلى ، وما إن رآنى حتى ابـدى رغبته فى الانفـراد بى بعض الـوقت ، واخـذت ركنـا منعـزلا فى بهو الفنـدق ، وجلست استمع الى رفعت الفناجيلى وهو يستعرض تاريخ حياته فى الملاعب .. قال رفعت :
ـ شـوف ياسعادة الشيخ ، أنـا .. اسأل عنى أى واحد ، حتى اسأل عنى هنـا فى الخليج ، أنـا أحسن لاعب فى مصر كلهـا ، كل اللى شـايفهم انت هنـا دول.. ولا حاجة . وبعدين أنا فى الهجـوم اهاجم ، فى الدفاع ادافع ، و بالعب فى خط الوسط ، ومع ذلك أنـا هداف الدورى عـاوز أقولك إنك مش هتخسر حـاجة لـو انتقلت عنـدك فى نـادى الشلوح .. صححت لـه الاسم قـائلا .. الشموح ..

ورد رفعت قائلا ..
ـ لاتؤاخذنى ، أنا اصلى أول مـرة ، اسمع عن النادى بتاع سعادتك ، وأن كنت أعرف أنه ناد كبير وحقق نتائج كبيرة !
وقاطعت رفعت قائلا :
ـ اذا كنت تتعهد بأنك تجيب جون فى كل مبـاراة باكتب معاك العقد فورا
ورد رفعت متحمسا :
ـ وبتقاطع على رزقك ليه ؟ يمكن أجيب أكثر
ـ أنـا ما يهمنى أكثـر ، انا يهمنى تنفذ الاتفـاق ، جون فى كل مبـاراة ايه رأيك ؟
ـ مفيش مانع .. بس افرض سعادتك ، أن أنا جبيت الجون والحكم لغاه.
ـ أنت مـاعليك . احنا بنـرشى الحكم قبل المباراة ، أنـت تحط الكورة فى الجول ومالك علاقة بالنتيجة .
قال رفعت مرتاحا :
ــ إذا كـان الأمر كـده يبقى حط فى بطنك بطيخـة صيفى .. إن شـاء الله هاحط فى كل مباراة جونين وثلاثة ..
اعتدلت فى جلستى وقلت :
ـ اتفقنـا ... العقد جاهز بكـرة تفوت علينا فى المساء ، الـدفعة الأولى ربع مليون ريال ، المرتب خمسون الف ريال كل شهر وبيت وسيارة ..
ـ وعفش البيت ؟
ـ احنا بنأثث ، بس يكون فى معلوماتك احنا بنأثث الضرورى .
ـ والمطبخ ؟ جاهز من كله !
ـ مايخالف ..
ـ كويس .. بس أنا عاوز ثلاجة ايديال كبيرة .
ـ إيش ايديال هادا . عندك جنرال اليكتريك .
ـ حلوة زى ايديال يعنى ؟
ـ أيش فيك أنت ؟
ـ ماتـزعلش منى ، أصل أنا عايز ارتاح عشان اتفـرغ للكورة ، وخذ منى اجوان زى ما أنت عاوز .

ـ هادا هـو المطلوب ، وبعـدين ... كل جـون تجيبه عشرة آلاف ريـال . الفوز عليه عشرة آلاف والتعادل خمسة آلاف بس .. مفهوم ؟

ـ طبعا ياسعادة الشيخ ... أنت هيكون عندك الكاس السنة دى .

ـ هادا هوه المطلوب .. ولو خدنا الكاس فيه ربع مليون مكافأة .

ـ ياخبر .. احنا هناخد الكاس والدورى باذن الله .

ـ بس فيه شرط يافنجال .

ـ الفناجيلى ياسعادة االشيخ .

ـ الاسم مايهم ، فنجال .. فناجيل .. ما فى فرق ! أجولك فيه شرط ... انا خدنا الدورى ...

ـ أنا تحت أمرك ..

ـ اذا خدنا الدورى ، لازم تتجوز عمتى !

بدت الدهشة على وجه رفعت الفناجيلى ، وقال وهو يتلعثم :

ـ بس أنا أصلى ... قاطعته بغضب شديد :

ـ إيش تقـول ؟ تعتذر عن الـزواج من عمتى . فاهم إنها عجـوز ، هادى ماتجاوزت الستين بأى حـال من الأحوال ثم هـادى عندهـا أملاك ، عنـدها فلوس ،عندها طيارة خاصة عندها قصور فى كل مكان .

ـ أنـا ماقلتش حاجة يـاسعادة الشيخ ، إنما أنا بس كنت عـاوز أقول ... يعنى ..

ـ إيش تقول .. إنت ما تستحق النعمـة ، أنا ما سمعت فيك ولا أنت لعيب كورة .

وراح رفعت الفناجيلى يعتـذر لسعادة الشيخ ، مبـديا استعـداده لتنفيذ اوامر سعادة الشيخ ، ولكن .. قال رفعت :

ـ أنا بس متجوز ،ياسعادة الشيخ .

وصرخت فى وجه رفعت الفناجيلى :

ـ مسلم أنت والاإيش ؟

ـ مسلم والحمد لله.

ـ طيب إيش فيك ، ليك اربعة حسب الشرع ....

ـ ماقـولناش حاجة ،بس يعنى ايه ؟ المسألـة عاوزة ترتيب يعنى ..مش

أكثر من كده .

ـ مايخالف ، بكرة تكتب العقد ، وكل شىء بإذن الله ...

وتركت رفعت الفنـاجيلى وغادرت الفندق مع المهنـدس عثمان والاستاذ المستكـاوى . وراح عثمان يستمع لتفـاصيل مـادار بينى وبين رفعت ، وفى النهاية قال عثمان :

ـ اللى أنـت عملته ده حرام يـامحمود ، الجدع مش هينـام لحد الصبح . وبكره فيه ماتش ، ومش هيعرف يلعب بنكله .

واقترح عثمان عند عـودتنـا الى الفنـدق أن نصعـد الى غـرفـة رفعت ونصارحه بالحقيقة ، لكى ينصرف عن التفكير فى هذا الأمر ، ولكى يستغرق فى النوم استعدادا لماتش الغد . وبالفعل صعـدنا الى غرفة رفعت الفناجيلى ، وأخذته المفاجأة عندما رأى عثمان أحمد عثمان داخل غرفته ، ومع من ؟ مع سعادة الشيخ ! وقال رفعت بلهجته الدمياطية مرحبا :

ـ ايه النور دا كله ، عثمان بك وسعادة الشيخ . وقال عثمان :

ـ يارفعت دا محمود السعدنى الصحفى المصرى ، لاشيخ ولا حاجة ، دا راجل على قـد حاله وزينـا . وعاوزك تنسـى الكلام اللى قالهولـك ، وتروق مخك عشان الماتش بتاع بكرة .

ورد رفعت وعلى شفته ابتسامة بلا معنى :

ـ الماتش بتاعنا بكرة ياعثمان بك .

ـ هوه دا المطلوب يارفعت .

وعندما تأهبنا للانصراف قال عثمان لرفعت :

ـ أنا عاوزك تنام كويس .

وعندما مد رفعت يده لمصافحتى ، قال له عثمان :

ـ سلم علىّ عمك محمود السعدنى .

وقال رفعت وهو يصافحنى :

ـ مع السلامة ياسعادة الشيخ ..

وقلت للمهندس عثمان :

ـ دا لسه فاهم إنى شيخ .

ـ لا ما أظنش .. دا أنصح منك .

فى اليوم التالى كنا نجلس فى المدرجات نشاهد المباراة بين الاسماعيلى والنادى الخليجى ، وفجأة دبت خناقة حامية بين اللاعبين ... وهرولت أنا والمستكاوى داخل الملعب لتهدئة لاعبى الاسماعيلى . كنت أرتدى البدلة كاملة ، والكرافتة تتدلى على صدرى ، واقتربت من رفعت الفناجيلى الذى كان مشتبكا فى ماتش مصارعة مع أحد لاعبى الخليج وصرخت فيه بكل قوة:

ــ حتى انت يارفعت ، بقى أنا بقول عليك عاقل وراجل كبير وفاهم ، الاقيك نازل ضرب أنت راخر .مش عيب عليك يارفعت ونظر نحوى طويلا ، وبان الخجل على وجهه .

صدقنى ياسعادة الشيخ انا ماعملتش أى حاجة، هو اللى ضربنى، اى والله كده ياجناب الشيخ .. وقلت للفناجيلى .. لأ ده انت باين عليك اتجننت فعلاً يارفعت .

فنظر الىّ مستعطفاً .. والله ياحضرة الشيخ أنا عقلت ومستعد أنفذ شروط العقد وخصوصاً بند الست عمتك .. بس أوعى تزعل منى ياسعادة الشيخ ربنا يخليك .

وهنا قررت أن أنسحب من الملعب بعد أن وصل صوته إلى أسماع الجمهور فى المدرجات . لكن الفناجيلى تبعنى كظلى وأنا أهدىء من روعه .. يا ابنى أنا محمود السعدنى الصحفى المصرى كنت راكب معاكم الطيارة من القاهرة .. ولكن الفناجيلى راسه والف سيف إننى شيخ قبائل الشلوح وأننى زعلان من فعلته فى الملاعب وعلى هذا الأساس ادعيت أننى الصحفى المصرى محمود السعدنى .. ومرت سنوات طويلة على هذا المقلب قبل أن يعرف الفناجيلى حقيقة الأمور !!



١٨



ديوان الشمس الطالعة

في ايام (الحكم الشمولي) كان العبد لله مسئولا عن الجيـــزة وكنت اتخذ من محل الحلاق أحمد عبد العال بشارع الفاتح محلا وعنوانا مختارا ، لم نكن مثل المسئولين في أيـام الانفتاح والانفشـاخ نجلس في شيراتـون أو في نـادى الجزيـرة ، وأمام دكـان أحمد، عبـد العـال جلس عشرات من المسئولين الكبار ، مصريين وعربا ، مسئولين كبـاراً في الاتحاد الاشتراكي وفي الحكـومـة وفي الوزارة ، محافظين ورؤساء مدن ورجال سياسة ، وكل اعضاء مجلس الثورة السوداني ـ ماعدا النميرى ـ جلسوا أمـام دكـان أحمد عبد العـال الحلاق ، كلهم ومن أول خالد عباس وزير الحربية ونائب الرئيس وإلى بابكر النور قائد الانقلاب ضد النميرى ، وأحـد الـذين أعـدمهم النميرى بعـد عـودته إلى السلطة ، ورؤساء أحزاب من سوريا وزعماء معارضة من العراق ، وأدباء كبار من كل أنحاء العالم العربي .

وكـان من عـادة حسين الالفـي مستشـار المجلس الأعلى للشبـاب والرياضـة حاليا الحضور أحيـانا إلى دكان أحمد الحلاق ، فقد كـان وقتها

رئيسا لمدينة الجيزة ومسئولا فى التنظيم الطليعى .

وذات مساء فوجئت ونحن جلوس أمام الدكان بالشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل يحضر الينا ، ولم يكن من عادته أن يفعل ذلك ، فهو شاعر هائم فى دنياه ، وهو يتكلم غالبا مع نفسه ونادرا مع الناس ، جاء عمنا الشاعر الكبير على غير عادته وجلس وراح يتجاذب أطراف الحديث مع الحاج إبراهيم نافع والأسطى أحمد الحلاق ، وتصورت أن محمود حسن إسماعيل فى سبيله لوضع قصيدة عن قوى الشعب العامل لالقائها فى عيد العمال ، ولكن محمود حسن إسماعيل ألقى فجأة نظرة على ساعته وسأل العبد لله :

- مش السيد حسين بيجى هنا ؟
- حسين مين ؟
- السيد حسين الالفى .
- أيوه .. بس مش كل يوم .

وسرح عمنا محمود حسن اسماعيل فى بحور شعره ثم عاد إلى جلستنا مرة أخرى .. وسأل العبد لله :

- مش صاحبك هوه ؟

هززت رأسى موافقا فقال :

- أصل أنا ليه عنده مصلحة بسيطة
- قوى .. تحت أمرك .. خير
- انا اصلى فكرت فى الآخر أعمل بيت للعيال بس الاخ حسين مدوخنى .
- ليه ؟
- ماهو الأسمنت من مجلس المدينة ، والحديد من مجلس المدينة وكل حاجة فى مجلس المدينة .
- طيب ماتروح لحسين .. دا راجل ظريف وطيب خالص

ولعق الشاعر الكبير شفتيه ، ثم مصمص بشدة ، ثم غمغم ثم نفخ ثم قال :

- ما انا رحت له المكتب من كام يوم بس عاملنى معاملة يعنى .. مش عاوز أقول سيئة ، لكن ممكن وصفها بالباردة .

وقاطعه الحاج ابراهيم نافع قائلا :

- يمكن مايعرفش انك أنت الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل .

وقال الشاعر :

- أنا قدمت له البطاقة التى تحمل اسمى ، وتعمدت أن اذكر له أكثر من مرة أثناء حديثى معه أننى الشاعر محمود حسن إسماعيل ، لكن يظهر أنه كان ضابط جيش ثم أصبح موظف حكومة ويبدو أن علاقته بالشعر مثل علاقة حضرتنا بالمصارعة !

ولزمت الصمت لحظة ثم قلت للشاعر :

- بالتأكيد هو عارف انت مين ووزنك إيه بالضبط ؟
- أنا برضه اعتقد كده .

وحدقت طويلا فى وجهه وقلت له :

- بس أنت اللى غلطان مش هوه .

وقال محمود حسن إسماعيل منزعجا ..

- أنا .. ليه ؟

ورسمت علامات الجد على وجهى وقلت له :

- هل حدثت حسين الألفى عن ديوانه الجديد .

وبدت الدهشة الشديدة على وجه الشاعر ، وقال :

- حسين الألفى له ديوان شعر جديد ؟
- طبعا ..
- معنى ذلك أن له ديوان شعر قديم .
- دواوين شعر من فضلك .
- معنى ذلك أنه شاعر .
- والمشكلة أنك لاتعرف ذلك وشاعر مثل حسين الألفى ومهما كانت طبقته بين الشعراء ، كان يهمه جدا وقد وجد شاعرا مثلك أمامه ان يسمع ولو كلمة مجاملة واحدة فى شعره ، ولكن تجاهلك له واهمالك لابد أنه جعله يرد لك الصاع صاعين ، فلا أسمنت ولا حديد تسليح ولابيت ولا هم يحزنون !

وسرح محمود حسن أسماعيل بعيدا ، وقال فى قلق ظاهر :

- وديوانه الأخير اسمه إيه ؟

كان السؤال مفاجئا ، وضربت لخمة مع العبد لله ، فقلت له - إيه .. إيه ..

الشمس طالعة .

قال باشمئناط شديد :

- ودا عنوان ديوان شعر ؟

واجبته بسخرية ....

- ماهو شاعر على قده كده ، يعنى زى ما تقول كده فى سلاح الشعر ، لكن مهما كان ، انت اللى غلطان ، انت رايح له ومحتاج له وهو شاعر ويمكن واخد فى نفسه قلم وفاهم انه امير الشعراء احمد شوقى فلما تقابله وتقعد ساكت يبقى مش واخد اسمنت ولا حديد .

- والعمل ... ؟

- بسيطه ....

- أنت تروح له بكره وانا هاتصل به ، هاتقوله إنك معجب بالشعر بتاعه ، وإنك كنت مكسوف تتكلم معاه أحسن يفتكر إنك بتنافقه .

- طيب والديوان فين علشان اقراه .

- هاحاول أجيبهولك بس انت تروح له واطلب نسخة ويكتب لك إهداء كمان ، وعلى العموم تتكلم معاه بشكل عام عن جزالة اللفظ وعمق المعنى وذكاء التناول وحاجات زى كده .

وانبسط عمنا محمود حسن إسماعيل وانصرف على وعد ، منه بأن يتصرف كما رسمت له .

وفى اليوم التالى اتصلت بالأخ حسين الألفى رئيس مجلس مدينة الجيزة وعاتبته لعدم اهتمامه برجل فى حجم الشاعر محمود حسن إسماعيل أمير شعراء زمانه .

وسكت حسين الألفى فترة ثم صاح فى التليفون؟

- ياخبر .. هو دا الشاعر ؟

فلما أجبته بالايجاب قال :

- انت عارف أنا مشغول لشوشتى ، وطول النهار قاعد فى المكتب وسط المشاكل ، وهوه بالفعل جانى وقعد معايا ، بس لمعلوماتك هو عاوز ياخد حديد وأسمنت أكثر من حقه ، وقلت للأخ حسين الألفى :

— يعنى هية وقفت عند محمود حسن إسماعيل ، ثم دا راجل شاعر وفنان ، ودا صوت مصر ، وهايعمل بيت يسكنه مش يتاجر فيه ، يبقى

لازم نكرمه ياعم حسين .

وقال حسين الألفى :

- خلاص ، راجل زى ده لازم نكرمه فعلا ، خليه يفوت على ، وحكيت لحسين الألفى تفاصيل ما دار بينى وبين الشاعر الكبير ، وقلت له سيكلمك عن شعرك وديوانك الأخير ودواوينك القديمة ، وأرجو أن تظهر له سرورك الشديد بتقديره لشعرك .

وقال الأخ حسين :

— يارجل .. أحسن يفتكر أن الامور ماشية عندى بالشكل ده واللى يعجبه شعرى أديله اللى هوه عاوزه .

- وهو انت شاعر ؟

— أنا شاعر بتعب .

— على العموم هنبقى نقعد معاه وتفهمه الحكاية ، عشان يعرف إن الشاعر مش لازم يعيش مقفول فى دنياه بس ، وإنما لازم يبقى صاحى ويعيش مع الناس كمان .

وفى اليوم الموعود ذهب الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل لمقابلة الشاعر حسين الألفى ودار بين الشاعرين أغرب حوار فى تاريخ الشعر العربى ، ولم أعرف تفاصيل هذا الحوار إلا فى اليوم الثانى ، أو بمعنى أصح فى مساء اليوم التالى ، عندما حضر الى دكان أحمد الحلاق حسين الألفى ومعه الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل . وكانت جلسة حافلة بعتاب شديد اللهجة من الشاعر ، وضحك متواصل من جانب حسين الألفى .

وأصل الحكاية إن محمود حسن إسماعيل عندما دخل مكتب حسين الألفى راح يعتذر له عن تقصيره فى دراسة شعره ، وقال ان من سلبيات الحركة الأدبية هو عدم اهتمام الكبار بأدب الجيل الصاعد (حسين الألفى كان بدرجة وكيل وزارة فى ذلك الوقت) ولكنه تعلل بكثرة انشغال الأدباء الكبار ، وعدم وجود الوقت اللازم للاطلاع على إبداع الجيل الجديد ، وضرب محمود حسن إسماعيل مثالا على ذلك بنفسه ، فهو إلى جانب اهتماماته بالشعر يعمل موظفا بالاذاعة ، وهو رئيس لجنة الاستماع بها ، وعضو بالمجلس الأعلى للفنون ومقرر لجنة الشعر به ، وعضو مجلس إدارة نادى الأدباء ومسئول عن مهرجان شعراء الاقاليم بالثقافة

الجماهيرية ولكنه وعد حسين بالرغم من مسئولياته ومشغولياته بدراسة شعره وتحليله ، وطلب من حسين نسخا من دواوينه ، ونسخة من ديوانه الأخير وعليها إهداء حسين وتوقيعه !

وبعد ان انتهى محمود حسن اسماعيل من محاضرته الطويلة مد حسين الألفى يده إلى محمود حسن إسماعيل وبهاموافقه على كميات الحديد والأسمنت المطلوبة ، وقال له حسين الألفى :

- أستاذنا الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل : فى الحقيقية أنا مجرد ضابط جيش وكنت ضمن الضباط الأحرار ، واشتغلت فترة سكرتيرا عاما لمحافظة السويس ، ثم جئت رئيسا لمدينة الجيزة ، وأنا لشدة انشغالى لم أدرك أن الرجل الذى جاء إلى مكتبى هو محمود حسن إسماعيل الشاعر الذى ملأ حياتنا شعرا وغناء ، ولذلك أرجو أن تعذرنى ، ثم اننى بينى وبين الشعر مثل الذى بين الأرض والقمر ، فلا أنا شاعر ولا أنا أديب ، ولكنه مقلب من مقالب السعدنى ولذلك لابد أن نذهب اليه معا ، حتى يتعلم أن المقالب لا تنجح دائما ، وهكذا كان لقاؤنا نحن الثلاثة أمام دكان أحمد الحلاق فى شارع الفاتح بالجيزة ، وصار محمود حسن إسماعيل من تلك اللحظة من رواد قعدتنا ، وظل مواظبا عليها حتى خروجه على المعاش . لكن لم ينقطع محمود حسن اسماعيل عن المجيء إلى دكان أحمد الحلاق إلا بسبب سفره إلى احدى الدول العربية ، وبعده بسنوات قليلة ذهبت أنا الآخر إلى هناك هربا من مطاردة الرئيس المؤمن .

ولأن المثل الشعبى يقول للغريب كون اديب فقد قررت بينى وبين نفسى أن أجمد هواية ضرب المقالب حتى تحين العودة إلى أرض الوطن . ولكن ذات مساء وجدت ضحية تسعى إلى العبد لله بإرادتها . فى أول الأمر حاولت بشدة أن امنع نفسى ولكن النفس الأمارة بالمقالب انتصرت فى نهاية المطاف فكان المقلب الذى أحدث صدى رهيبا فى عاصمة هذه الدولة العربية .









أم المقالب

وعلى وزن أم المعارك .. كان هذا هو أم المقالب بلا جدال !

مسرح الأحداث كان فى عاصمة عربية لا داعى لتحديد مكانها الآن . والضحية رجل من وجوهها لم يكن به نقص الا رواياته المزعومة عن علاقاته بالوسط الفنى فى القاهرة ، وبالفنانات على وجه الخصوص . ما اجتمعت به فى أى وقت الا راح يحدثنى عن علاقاته المتعددة بالنجمة الفلانية ، ومعاركه مع النجم المشهور إياه من أجل الممثلة الفاتنة إياها ! كان العبد لله مهاجرا فى تلك الأيام رغم أنفه ، ولأن الزن فى الودان يعمل عمل السحر ..

فقد تصورت أن الأحوال فى الوسط الفنى قد تدحرجت إلى هذا المستوى . والسبب أن الفكرة التى كونتها عن الشخص إياه كانت فى غير صالحه . صحيح انه كان وسيما وثريا ولكن لاشىء بعد ذلك . اذا فتح فمه بالكلام انحنيت لتخلع فردة حذائك . اذا تعرض أحد الموجودين لموضوع جاد ... أشاح بوجهه ولزم الصمت . مثل هذا الشخص يستطيع أن يقيم علاقات عابرة ، أما أن يقيم علاقات دائمة ويدخل فى سبيلها معارك مع الآخرين ... فاسمح لى !

المهم أننى لم اتوقف كثيرا عند هذه الحالة المرضية التى يعانى منها

صاحبنا إياه ، واعتبرتها حالة لابأس بها ، ولها فضل فى قتل أوقات الفراغ !
ولكن المقلب جاء مصادفة وبدون ترتيب كان الصحفى على كامل فى زيارتى عندما دق جرس التليفون فى مكتبى وكان المتحدث هو صاحبنا نفسه . سألنى أن أزوره فى منزله ولكنى اعتذرت ، فسأل عن السبب فأجبته بأن رشدى أباظة هو ضيفى هذه الليلة . صرخ باهتمام شديد :
ـ احلف ..
قلت بدون مبالاة :
ـ واحلف ليه اذا كان رشدى قاعد قدامى .
ـ طيب .. اذا كان رشدى عندك ، ارجوك تيجى وتجيبه معاك .
ـ أسال رشدى الأول .. وبعدين أجاوبك .
ـ أرجوك يامحمود ، والله أنت ما تعرف منزلتك عندى هتكون أد إيه !
لزمت الصمت لحظات وكأننى أسأل رشدى أباظة ، ثم قلت لصاحبنا الملهوف على استضافة رشدى :
ـ مفيش مانع .. بس بشرط .
ـ أنا مستعد وحاضر .
قلت له وكأننى الجنرال ايزنهاور يملى شروطه على القادة الألمان :
ـ أولا رشدى أكول وأنت من أنصار نظرية الطعام مكروه للضيوف .
ـ ثانيا رشدى يشرب كثيرا ، وأنت لا تسمح بأى شراب للضيوف الا فى حدود القهوة والشاى !
راح صاحبنا يصيح على التليفون وكأنه مجنون :
ـ اسمع يامحمود ،خروف مشوى من أعظم فنادق العاصمة .. ما رأيك ؟
ـ عظيم ..
ـ وزجاجتان من أشهر الأصناف ..
ـ ماذا تقول ؟ لا تكفى ياصديقى ، لأن النجم الشهير رشدى الذى يزور عاصمتك لأول مرة ، ويختصك أنت بالذات للسهر فى بيتك ، لا أقل من صندوق كامل يأخذه معه بعد انتهاء السهرة .
أجاب مستسلما :
ـ مفيش مانع .. صندوق كامل !

لم يساورنى أى شك وأنا فى طريقى إلى منزل صديقنا فى أنه سيكتشف الملعوب بعد دقائق قليلة . صحيح ان الأستاذ على كامل كان قريب الشبه من رشدى أباظه ، ولكن على كامل كان أنحف وأقصر . ويستطيع أى انسان شاهد رشدى أباظة أكثر من مرة فى السينما أن يتبين الفرق . وقلت لنفسى ، على العموم سيكون اكتشافه لشخصية على هو مادة السهرة . ولكن الذى حدث بالفعل .. كان أغرب من الخيال .
استقبلنا صاحبنا عند الباب ورحب بالأستاذ رشدى كثيرا ، ثم تقدمنا إلى الداخل . وبعد أن جلس رشدى فى صدر المكان ، أسرع صاحبنا إلى فتح التليفزيون ، ثم فتح النافذة ، ثم فتح الباب ، ثم فتح جهاز الاستريو ، ثم جلس وفتح التليفون ، وراح يتصل بالأصدقاء . ودار الحديث بينه وبين الأصدقاء على هذا النحو :
— ما تصدق عندى مين ! رشدى أباظة ، أى والله والأستاذ رشدى قاعد قدامى !
ثم يغلق التليفون ويعاود الاتصال :
— ما تصدقين عندى مين ! استاذ رشدى أباظة ، تعالى بنفسك سلمى عليه ، أقول .. تعالى بنفسك .. الكاميرا ؟ مافى مانع ثم يغلق السماعة ويعاود الاتصال .
— أقول رشدى أباظة .. تعال اسهر معانا .. اضحك عليك أنا ؟ أنت حر.. بكرة تندم .
انتابنى الخوف أن يحضر بعض هؤلاء المعارف فيكتشفوا الملعوب ، وتنتهى سهرتنا إلى مأساة . أمسكت بسماعة التليفون ونهرته قائلا :
— الأستاذ رشدى يحب الهدوء .. ما يحب الزحمة !
لزم صاحبنا الصمت ثم سرح بعيدا عن المكان والزمان . حاولت أن أنعش ذاكرته للوفاء بوعوده التى التزم بها ، فاستجاب على الفور ، اتصل هاتفيا بفندق شهير طالبا .. « خروف مشوى » وسلطات من كل الأنوع وحلوى فاخرة ، ثم قال للآخر الذى كان يتحدث معه وبدون مناسبة :
— بس خد بالك ، لأن اللى هياكل الخروف أستاذ رشدى !!
بعد ذلك لزم الصمت فلم ينطق بحرف . تصورت أنه سيناقش (أستاذ

رشدى) فى فيلمه الأخير ، تصورت أنه سيستعرض معلوماته الفنية أمام الأستاذ ، تصورت أنه سيسأله عن أحوال فلانة التى عشقها ، وفلانة التى دخل معارك من أجلها ، وتصورت أنه سيذكر الأستاذ بجلسة معه فى بيت فلانة أوعلانة !! ووضعت يدى على قلبى خوفا من أن يتعرض فى حديثه لفيلم من أفلام رشدى يكون على كامل نفسه لم يشاهده ! ولكن الله ستر ، فلم يفتح صاحبنا فمه بأى كلام . ومر الوقت بطيئا قاتلا بينما القلق ينهش قلبى خوفا من دخول ضيف يكون على علاقة بالأستاذ رشدى الحقيقى ، أوعلى علاقة بالدوبلير .. الأستاذ على كامل .. وحدث ماكنت أخشاه . وصل ضيف عجوز ونظره على قده .. كما يقولون . ثم اكتشفت أن القادم خادم قديم لدى العائلة .

ومد الخادم العجوز يده يصافح الضيوف ، وما إن وقع بصره على الأستاذ على كامل حتى صاح صارخا :

— هاى .. هاه .. هوه دا .. هاى .. هاه .. هادا هاوه .

ابتسم صاحب الدار ابتسامة عريضة ، ثم راح يشجع خادمه على اكتشاف الحقيقة قائلا :

— مين هادا ؟ !

قفز الخادم العجوز قفزة هائلة ودار حول نفسه دورة كاملة ثم قال وكأنه اكتشف سرا حربيا :

— هادا .. هادا .. هادا فريد شوقى !!

أجبت الخادم ضاحكا :

— ياسلام على العبقرية .. مضبوط فريد شوقى !

صاح صاحبنا فى وجه خادمه مؤنبا :

— ياحمار .. ما تفهم أنت .. هذا أستاذ رشدى أباظة .

ألقى الخادم العجوز نظرة أخرى على الأستاذ على كامل ثم قال :

— آه .. فريد شوقى .

نهر صاحبنا خادمه بشدة ، ثم التفت للأستاذ على كامل وقال :

— عفوا أستاذ .. هادا حمار ما يفهم .

لم يرد على كامل على صاحب الدار ، واكتفى برسم ابتسامة عريضة على شفتيه !

وفجأة وقع ماكنت أخشاه . جاء صديق لصاحب الدار ليسلم على الأستاذ (رشتى) أباظة .. ودخل وصافح رشتى واحتضنه بشوق شديد ثم حاول أن يلتقط له صورة بكاميرا كانت معه ولكن الكاميرا لم تكن تعمل بسبب ضعف أصاب البطاريات ، فاستأذن وتركنا مسرعا ليحضر بطاريات جديدة . ودعوت الله الا يعود ، واستجاب الله لدعائى فلم يحضر . وحضر الأكل وجاء به شاب مصرى لم يتجاوز الثلاثين . ووضع الطعام على المائدة وتناول الحساب من صاحب الدار ثم نظر نحونا بدون اهتمام . ونهره صاحب الدار قائلا :

ـ مالك .. عميت انت ، ماتشوف مين قدامك ؟

أرعش الشاب حاجبيه ونظر نحونا فى اضطراب ثم قال :

ـ لامؤاخذة ، انتو أحسن ناس ، ربنا يزيدكم من نعيم الله !

واعتذر صاحب الدار عن غباء العامل المصرى وقال :

— هادول مساكين والله ، مايشوفوا أفلام ولا تليفزيون ، هادول يشتغلوا عشان الفلوس وبس !!

أكلنا بفضل الله وشربنا ، وانفضت السهرة على خير ، وعند انصرافنا قلت لصاحب الدار :

ـ فين الصندوق اللى أنت وعدت به ؟

تردد قليلا ، ولكن صرخة خرجت من فمى جعلته يسرع باحضار الصندوق . وضعت الصندوق فى السيارة وعدت إلى صاحبنا .. وهمست له :

ـ وأنا ؟!

ـ انت إيه ؟!

ـ أنا اللى جبتلك رشدى ؟!

ـ عاوز إيه ؟

ـ «زجاجتين» ...



- زجاجة واحدة بس .

- كده .. طيب ،ان جبتلك حد تانى !!

- طيب طيب ... بس اوعدنى اى فنان يحضر من مصر تجيبه !

- حاضر ان شاء الله .

وأسرع صاحبنا الى داخل الدار ، ثم عاد ومعه «زجاجتان» .

فى اليوم التالى كانت العاصمة إياها قد سمعت بقصة الاستاذ (رشتى) الذى قضى الليلة فى بيت الأخ إياه ، وتوالت المكالمات التليفونية على منزل صاحبنا .

- كيف تصدق ؟

- معقول ياأخى رشدى أباظة هنا والجرائد ما تكتب ، والتليفزيون مايقول شىء؟!

- ثم هادا الشخص اللى جاء عندك أقصر وأنحف !!

واختفى صاحبنا شهرا لايكلم أحدا ، وانقطعت عن زيارته ، بطبيعة الحال .

ومرت سنوات طويلة قبل أن أتلقى منه مكالمة تليفونية وأنا مقيم فى بغداد . وبعد السلام والكلام طلب منى أن اتصل بصديقه المحامى وابلغه بنبأ وصوله يوم السبت القادم ، وأوصيه بضرورة حجز جناح له بفندق بغداد ، واعداد السهرة المعتادة له بلوازمها من مشروب وبنات ، وأعطانى رقم تليفون المحامى صديقه ووعدته خيرا وعلى بركة الله .

ولم أتصل بأحد ، ولكنى طويت الورقة التى تحمل رقم التليفون وكان الله يحب المحسنين .

بعد أيام كنت فى زيارة صديق مسئول بوزارة الاعلام ، اخرجت الورقة التى تحمل رقم التليفون وعرضتها عليه ، وسألته عن صاحب الرقم إياه . وكانت المفاجأة ... انه رقم أحمد حسن البكر رئيس جمهورية العراق .

ولم أشاهد صاحبى هذا حتى الآن . الرجل الذى كان ضحية ام المقالب على وزن خالتى أم المعارك ، يرحمها الله !







« عكش زوز »

ولم تقتصر مقالب العبد لله على حدود مصر والعالم العربى ولكنها خرجت إلى حدود أبعد وأوسع مدى . وأصل الحكاية ان العبد لله كان عضوا فى وفد مصر إلى مؤتمر الشعوب الآسيوية الأفريقية المنعقد فى غانا . وكان الوفد المصرى برئاسة خالد محيى الدين . وكان أكبر الوفود ويضم عددا كبيرا من مشاهير الأدباء أمثال يحيى حقى وعبدالقادر القط واحسان عبدالقدوس . وكان يوسف السباعى هو سكرتير عام المؤتمر باعتباره سكرتير عام المؤتمر الآسيوى الأفريقى بالقاهرة . وجاءت طائرة روسية ضخمة إلى مطار القاهرة حملت أعضاء الوفد المصرى وبعض الوفود الأخرى التى كان أفرادها يعيشون كلاجئين سياسيين فى مصر .

وكان من بينها وفد خليجى يرتدى أفراده العباءة والدشداشة والعقال . وجاء مقعدى بالطائرة إلى جوار رئيس هـذا الوفد الخليجى ، وكان إلى جانب العباءة والعقال يحمل فى يـده شنطة سامسونايت آخر طـراز مكسوة بجلد تمساح مدبوغ بطريقة يسيل لها اللعاب . وعندما حلقت بنا الطائرة فى الجو نظر جارى فى وجهى نظرات فاحصة ثم سألنى :

— أنت محمود السعدنى ؟

— نعم .

— يا هلا .. والله احنا نقرالك ونحبك .

— يا ألف مرحب .

ورحنا نتبادل أطراف الحديث .. حتى حطت الطائرة على أرض الجزائر وبتنا ليلة فى الجزائر تجولنا فيها ليلا فى حى القصبة ، والقصبة كلمة عربية ضليعة على رأى الشيخ عبدالعال ، ومعناها العاصمة ، وكل قصبة فى أى مدينة عربية كانت هى العاصمة القديمة . فلما اتسعت المدن وامتدت ودخلها المستعمرون أطلقوا على العاصمة القديمة اسم الكسبا . وأنتجوا عنها أفلاما ، ولأن القصبة كانت من مخلفات العصور الوسطى ، فلذلك كانت حواريها ضيقة ومساربها ملتوية ومظلمة ، ولأن المستعمرين كانوا يريدون تشويهنا فقد افترضوا أن هذه الكاسبا هى بؤرة للجريمة وماخور للدعارة ومخانة للمخدرات ووكر للجواسيس . وصدقنا نحن أيضا هذه الاشاعة ، وتخلينا عن الاسم العربى القصبة . والتوت ألسنتا ونطقناها الكاسبا .

المهم أيها السادة لم تقع لنا أحداث تذكر فى تلك الليلة إلا أن رئيس الوفد الخليجى الذى يحمل شنطة سامسونايت مكسوة بجلد التمساح توقف فجأة أثناء جولتنا وقال للعبد لله :

— أستاذ .. عكش زوز ؟

ولم أفهم فى البداية ولكنه شرح لى الأمر . زوز يعنى زوج ، والمقصود زوج دولارات .. ولما لم يكن معى دولارات . فقد نفحته زوز استرلينى وتكرر الأمر بعد ذلك فى باماكو عاصمة مالى وفى داكار عاصمة السنغال وفى أكرا عاصمة غانا .. عند هذه المحطة كان رئيس الوفد الخليجى إلى مؤتمر الشعوب الآسيوية ـ الأفريقية قد لهف ثلاثة أزواز ، جمعهم ٦ جنيهات استرلينية .

ولكى تدرك جسامة هذا المبلغ ومدى تأثيره على ميزانية العبد لله أقول لحضراتكم اننى قد غادرت القاهرة ومعى خمسة جنيهات استرلينية كان

مسموحا بالخروج بها لأى مصرى يحصل على تأشيرة خروج من مصلحة الجوازات المصرية ، ولأن العبد لله كان على علاقة صداقة بالرجل المسئول عن إدارة النقد الأجنبى فى الحكومة المصرية وهو الأستاذ محمد الخواجة ، فقد سمح للعبد لله بتحويل ٢٥ جنيها مصريا حصلت بمقتضاها على ١٨ جنيها إنجليزيا فأصبح المجموع ٢٣ جنيها . وأيضا لأننى لاأطيق القيود الأميرية ولاأخضع لها فقد تمكنت من تهريب ورقة مالية من فئة الخمسين دولارا تساوى فى ذلك الزمان ٢٠ جنيها إنجليزيا فيصبح المجموع هو ٤٣ جنيها استرلينيا هى كل ثروتى فى الحياة .

المهم اننا وصلنا أخيرا إلى قرية وينيبا على شاطىء المحيط حيث ينعقد مؤتمر الشعوب الآسيوية ـ الأفريقية فى جامعة نكروما للتكنولوجيا . ونزلنا جميعا فى مساكن طلبة الجامعة . رؤساء الوفود ومنهم رئيس الوفد الخليجى انزلوهم فى أجنحة وأعطوا كل فرد من أفراد الوفود حجرة ، وأعطوا الصحفيين حجرة لكل اثنين ، وكنت سعيد الحظ ، لأننى أقمت فى غرفة واحدة مع المرحوم فيليب جلاب . ولم يكن الجناح هو الميزة الوحيدة التى حصل عليها رؤساء الوفود ، ولكنهم حصلوا أيضا على سيارة بسائق ، والسيارة من النوع الباكار موديل سنة ٦٢ سوداء اللون ، وهذا النوع من السيارات كان مخصصا لكبار المسئولين فى الحكومة الغانية .

وقبل انعقاد المؤتمر بيوم واحد توقفت سيارة رئيس الوفد الخليجى أمام المكان الذى اخترناه لجلستنا اليومية ، وكان مكانا ساحرا فى حديقة الجامعة وتحت شجرة مانجو مثمرة ، كان يتساقط منها بين الحين والآخر ثمار المانجو الناضجة فنسرع إليها ونغسلها ثم نلتهمها . جاء رئيس الوفد الخليجى ونزل من سيارته الفارهة وجلس معنا وبعد فترة دامت نحو ساعتين استأذن فى الانصراف واقترب من العبد لله وهمس فى أذنى قائلا :

— عكش زوز ؟

وأسرعت ملبيا الطلب وضربت يدى فى جيبى وأخرجت له زوز من الجنيهات الاسترلينية ناولته إياها فصار الميزان التجارى بينى وبينه لصالح العبد لله بنسبة ٨ جنيهات استرلينية . ولاأكذب عليكم إذا قلت لكم اننى فرطت فى نقودى بنية سيئة ، فالعبد لله مثل أبناء جيله كنا نسمع

قصصا عن ثراء أبناء الخليج وتبذيرهم فى الانفاق وتفننهم فى بعثرة الأموال أحيانا بسبب وغالبا بدون سبب ، ثم إن منظر الشنطة التى كان يحملها معه كانت توحى لمن يراها بأنها تحمل خيرات كثيرة ، كما ان فكرتى عن الرجل وشنطته انه أرض صالحة للزراعة وان الأزواز التى تحصل عليها ماهى إلابذور لاتلبث ان تطرح ثمرا وفيرا .

غاب رئيس الوفد لمدة يومين انشغل فيهما فى مقابلة الوفود وفى الاعداد لخطبته النارية العنترية التى سيلقيها فى جلسة اليوم الثالث ، ثم عاد إلى جلستنا تحت شجرة المانجو ، وأكل معنا نصف ماجمعناه فى ذلك اليوم ثم شرب الشاى الذى أعده لنا الشيخ موسى ، وهو مسلم غانى كان مستعدا لأن يدفع حياته ثمنا لشريط تسجيل عليه صوت الشيخ مصطفى اسماعيل، وبعد ان انتهت القعدة اقترب منى وهمس فى أذنى :

— عكش زوز ؟

وضربت لخمة مع العبد لله ، فلم يعد معى من الأزواز إلا قليلا ، ولكن لأن الطمع يقل ما جمع فقد أعطيته الزوز ، ولكن لأن الكيل فاض بالعبد لله ، فقد سألته على استحياء :

— أنت مافكيتش الحوالة ؟

— حوالة إيش أنا ما معى حوالة .

— أقصد الشيك .

— أنا ما معى شيكات .

— أمال إيه الحكاية ؟ لازم تروح البنك بنفسك .

— وليش أروح البنك مالى مصلحة هناك .

قلت وقد غلب حمارى وضاق صدرى واستبد بى القلق :

— آه يبقى لازم تروح السفارة علشان تقبض .

— انا ما اقدر أروح السفارة .

— ليه ؟

— كيف أروح السفارة وأنا زعيم الحزب الاشتراكى .

اشتراكى يابن المركوب ، أول خليجى أعرفه فى حياتى يطلع اشتراكى ويلهف من الرأسمالى العربى الكبير العبد لله نصف دستة من الأزواز ، وكدت أنحنى وأخلع حذائى ليس لضرب الخليجى الاشتراكى ، ولكن لأنهال بالضرب على رأس العبد لله ، أنا أستحق الضرب بالفعل ، لأن هذا المؤتمر الذى نحن فيه هو مؤتمر للمناضلين الوطنيين وللمكافحين السياسيين ، وأعضاؤه مكافحون أى نعم ووطنيون مافيش كلام ولكنهم جميعا أنظف من الصينى بعد غسيله . كل أعضاء الوفود المشتركة يعيشون فى المنفى إلاوفد مصر ووفد الاتحاد السوفيتى ووفد الصين ، فيما عدا هؤلاء فشعار الآخرين : « عشانا عليك ياكريم » . ضاعت فلوسى وأشرفت على الافلاس بفضل السيد رئيس الوفد الخليجى الاشتراكى !

واستبد الغيظ بالعبد لله وفكرت فى طريقة للانتقام . ولكننى عدلت عن فكرة الانتقام لأن المسئول عن هذا الذى حدث هو غبائى الذى ليس له نظير. ولكنى طلبت من الشيخ الاشتراكى أن يتنازل عن سيارته لأذهب بها إلى مشوار فى العاصمة أكرا .. فوجئت بالشيخ الاشتراكى يقول للعبد لله : خد سيارتى خليها معاك أنا ما أريدها . ثم رجانى أن أقبل منه هدية ، ولم أكن فى الواقع فى حاجة إلى رجاء فقبلت الهدية ، وهى جلباب حرير يابانى وغترة وطاقية شبيكة .

المهم فى اليوم التالى ارتديت الجلباب وركبت السيارة ونزلت أكرا ، وقمت بجولة فى العاصمة الجميلة لولا الروائح الكريهة التى تنبعث منها ، لأن مياه الصرف الصحى تجرى داخل العاصمة فى قنوات مكشوفة وعدت حوالى الرابعة بعد الظهر إلى وينيبا ، ودخلت جامعة نكروما وأنا مجعوص آخر انجعاص فى الكرسى الخلفى للسيارة ، ويدى متشعلقة فى الجلدة التى تتدلى من سقف السيارة ، والهواء داخل للسيارة من النافذة المفتوحة يهفهف الجلباب الحرير ، أوقفت السيارة عند باب المبنى الذى ننزل فيه . وبالصدفة كان فيليب جلاب واقفا عند المدخل ، فما أن رآنى نازل من السيارة حتى فتح فمه من شدة الدهشة وهرع نحوى مرحبا بسعادة الشيخ ، ثم أمسك بيدى وانحنى محاولا تقبيلها ، وتقمص العبد لله الدور فمسحت على رأسه وقلت له : بارك الله فيك .. بارك الله فيك .. وقبل أن

ننفجر ضاحكين فوجئت بخمسة من الصينيين يقفون أمامى مباشرة فى حالة ترصد . انحنى الخمسة حتى لامست وجوههم الأرض ، ثم وقف رئيسهم أمامى وقد ضم أصابع يديه كأنه يصلى ، ودار بيننا هذا الحوار التاريخى الهام :

— سيادة الرئيس اسمح لى أن أسألك أنت رئيس اى وفد ؟

أجبته بلا مبالاة :

— رئيس وفد الجيزة .

وعلى الفور امتدت يده إلى جيبه وأخرج أجندة وقلما وراح يسجل المعلومات .

— متى وصل الوفد ياسيدى إلى المؤتمر ؟

— بالأمس فقط .

— وهل سجلتم وصولكم لدى سكرتارية المؤتمر ؟

— نعم بكل تأكيد .

— وكم عدد أعضاء الوفد ؟

— خمسة عدا الرئيس الذى هو أنا .

كان فيليب جلاب يستمع إلى العبد لله مذهولا دون أن يتدخل بالكلام .

وانحنى الرجل الصينى أمامى عدة مرات ثم قال فى لهجة خطابية :

— سيدى رئيس وفد الجيزة ان لى الشرف أن أقدم لكم دعوة رسمية باسم حكومة الصين الشعبية لزيارة بكين لمدة أسبوع للتعرف على بلادنا ، ونرجو أن نتلقى منكم دعوة لزيارة جمهورية الجيزة العظيمة التى نتابع جهادها وصمودها ضد الامبريالية والاستعمار .

قلت فى لهجة خطابية أعلى :

— وأنا باعتبارى رئيسا لوفد الجيزة أعلن قبولى لدعوتكم الكريمة وأرجو أن تحددوا الوقت لكى نبدأ زيارتنا للصين الشعبية ، ومن الأفضل أن نبدأ الزيارة من غانا وإلى الصين رأسا ، كما أرجو أن تقبلوا دعوتنا لزيارة جمهورية الجيزة العظيمة التى سيتحدد موعدها فيما بعد .

وفوجئت بكل أعضاء الوفد الصينى يصفقون بحرارة ثم أقبلوا لتهنئتى والاشادة بتاريخ جمهورية الجيزة العظيمة . وبعد التحية والترحيب أمسك الرجل الصينى بالورقة والأجندة وطلب منى أسماء أعضاء الوفد الذى سيسافر إلى الصين ، ووعدنى باحضار التذاكر فى اليوم التالى . وذكرت له الأسماء محمود برعى وسعد برعى وأحمد برعى وخليفة برعى ومنصور برعى وفيليب برعى .. ودون الرجل الأسماء ثم انحنى عدة مرات ثم استأذنت منه فى الانصراف ولكنهم وقفوا فى أماكنهم ودخلوا مع بعضهم فى نقاش حاد ، بينما أخذت طريقى مع فيليب جلاب إلى غرفتنا بدون اهتمام . ولم أدرك وقتها أننى تسببت فى وقوع أكبر مشكلة دولية بين الصين وروسيا ومصر . وكانت السبب فى نسف المؤتمر . ولكن كيف حدث هذا ؟







٢١



أمه اسمها الاتحاد السوفيتى



مضى اليوم التالى فى أمان الله ، سافرت مع فليب جلاب الى اكرا فى سيارة صديقى الخليجى الاشتراكى . وعدت فى المساء ، وجلست تحت شجرة المانجو استقبل ثمارها الناضجة التى تسقط علينا بين الحين والآخر ، ونشرب شاى الحاج موسى الغانى ، ونستمتع بليل غانا الهادىء الذى يعكر هدوءه أصوات غريبة صادرة من الغابة القريبة ثم أويت الى فراشى مع رفيق حجرتى فيليب جلاب . واستيقظت فى الصباح على يد تهزنى بعنف وعندما فتحت عينى أبصرت وجه يوسف السباعى ، ومن خلفه عدة وجوه تبينت بعد فترة انها للسادة اعضاء وفد الصين الشعبية . وتصورت انهم جاءوا بالدعوة لرئيس وفد الجيزة ، ولكن اكتشفت اننى متهم ، وتهمتى اننى نسفت مؤتمر الشعوب الآسيوية ـ الأفريقية ! وقف يوسف السباعى وهو يشير نحوى وقال بلهجة أشبه بلهجة رئيس نيابة أمن الدولة وسأل الصينيين :

ـ هل هذا هو الشخص الذى قدم لكم نفسه على انه رئيس وفد الجيزة ؟



وهز الصينيون رؤوسهم بالايجاب ، وقال يوسف السباعى :

ـ اذن اسمعوا ، هذا الرجل عضو فى وفد مصر واسمه محمود السعدنى وهو صحفى وكاتب ساخر معروف ! وليس امامكم الا أن تعتذروا عن كل كلمة نطقتم بها اثناء جلسة الأمس ، ولابد من تسجيل اعتذاركم فى محضر الجلسة ، وإلا فإنى مضطر لعرض الأمر على سكرتارية المؤتمر لاتخاذ القرار المناسب .

ونظر الصينيون نحوى وكأنهم يلتمسون عند العبدلله الجواب الشاق الذى يخرجهم من هذا المأزق الخطير ، وقلت لهم وأنا مضطجع على السرير أحاول طرد النعاس من عينى :

ـ ما يقوله يوسف السباعى صحيح ، والأمر كان مجرد مزاح لا أكثر ولا أقل !!

ورطن الوفد الصينى بلغة كونفشيوس . وفهمت دون معرفة باللغة الصينية بانهم يلعنون خاش العبد لله ويلعنون سنسفيل جدودى ، ولكن لم أعبأ بشتائمهم وتركتهم يرغون ويزبدون ، وانتهزت فرصة مغادرة يوسف السباعى للمكان فعدت لمواصلة النوم من جديد . ولكن «فيليب جلاب» جعل النوم يفر من عينى عندما جذبنى بشدة من يدى ، وحثنى على النهوض لمعرفة حقيقة الأمر . وفى الحديقة التى تفصل بين قاعة المؤتمر ومكان الاقامة ، التقيت بسيدة فاضلة تعمل بالجامعة الأمريكية وتقوم بالترجمة الفورية أثناء الجلسات ، وما أن رأتنى حتى أطلقت ضحكة صافية من أعماقها وقالت للعبدلله :

كنت هتدخل التاريخ امبارح ، لأن الحرب العالمية الثالثة كانت هتقوم من وراء مقالبك .

وجلس فيليب جلاب وأنا أستمع اليها وهى تردد لنا ما حدث بالامس :

انعقدت الجلسة كالمعتاد ، ووقف مندوب الكونغو «زائير» وراح يلقى خطابه عن الأحوال فى افريقيا ، وعن التدخل الاستعمارى الامبريالى ، وعن دور عملائه واعوانه فى نهب ثروات افريقيا وقتل احلامها . وفجاة .. وقف رئيس الوفد الصينى وصرخ من اعماقه ، وقال وكأنه عنتر بن شداد على أهبة دخول الحرب :

ـ أيها السادة ، دعونا من هذه الخطب الجوفاء التى ملت الآذان سماعها، لقد اكتشفنا خيانة داخل هذا المؤتمر ولابد من كشفها علنا وعلى رؤوس الاشهاد ، ولقد كنا دائما تساورنا الشكوك حول سكرتارية المؤتمر وانحيازها بالكامل للنظام الذى يحكم الاتحاد السوفيتى ، وكانت تساورنا الشكوك فى أمر السيد يوسف السباعى ، والتزامه بالتعليمات التى تصدرها موسكو . ولكن جاء اليوم الذى تبددت فيه هذه الشكوك وحل محلها يقين ثابت ، ولدينا الدليل القاطع .

هنا حاول مندوب زائير ان يواصل القاء خطابه ولكن رئيس الوفد الصينى نهره بشدة ، وقال له بصوت صارخ :

ـ اسكت ايها العميل الصغير ، فانت أيضا واحد منهم لأنك لا تتلقى التعليمات فقط ، ولكنك تتلقى النقود ايضا .

وانفعل المندوب الزائيرى ، ولكن رئيس وفد الصين قاطعه قائلا : هل تستطيع ان تدلنا على الطريقة التى جئت بها الى هنا ؟ ورد المندوب الزائيرى قائلا فى لهجة ساخرة :

ـ لقد جئت الى هنا بالطائرة .

ورد مندوب الصين قائلا له :

ـ ولكن من الذى دفع لك ثمن التذكرة ؟

وقال المندوب الزائيرى فى هدوء :

ـ أمى هى التى دفعت ثمن التذكرة .

وسأله المندوب الصينى :

وهل أمك اسمها الاتحاد السوفيتى؟

ورد المندوب الزائيرى ببرود شديد :

ـ أمى اسمها لاشيكا شابلا ، هل ترغب فى رؤية صورتها ؟

وتدخل يوسف السباعى فقطع هذا الحوار الساخر بين المندوب الزائيرى ورئيس الوفد الصينى ، وقال يوسف موجها خطابه لمندوب الصين :

ـ هل تستطيع ان تكشف لنا هذه المؤامرة الآن ، وأن تحيطنا علما بتفاصيلها ؟



ورد المندوب الصينى :

ــ سأطلعكم على كل شىء اذا استطعت انت ان تجبر هذا الببغاء على التزام الصمت .

وهنا ثارت ضجة كبيرة فى القاعة ونهض مندوب الاتحاد السوفيتى ، وهو عضو باللجنة المركزية وعضو بالمكتب السياسى ، ولوح بقبضة يده فى وجه المندوب الصينى ، وقال وهو يضرب بيده على المائدة .

ـ أن المندوب الصينى اهان الوفود جميعا ، هو يحاول عرقلة اعمال مؤتمر الشعوب الآسيوية ــ الأفريقية ، لمصلحة من يعمل لحسابهم فى أجهزة مخابرات الغرب .

وانتفض المندوب الصينى وقال متهكما :

ـ مؤتمر الشعوب .. وأين هى هذه الشعوب ، ان اغلب الموجودين هنا حثالة .. واغلبهم يعمل فى اجهزة مخابرات الاتحاد السوفيتى ويعيش على حسابها ، انهم مجرد عرائس خشبية تحركها ايد مدربة على أعمال السيرك السياسى .

وتدخل يوسف السباعى مرة أخرى وقال للمندوب الصينى :

ـ نحن فى انتظار أن نسمع منكم تفاصيل المؤامرة التى تحدثتم عنها ، والاطلاع على الدليل القاطع الذى تحت ايديكم .

وخيم السكون على القاعة ، وقال المندوب الصينى :

ـ إن فى هذه القاعة وفدا يمثل دولة افريقية حديثة العهد بالاستقلال ، ولكن هذا الوفد لم يدرج فى قائمة الوفود المشاركة ، وهى القائمة التى وضعتها سكرتارية المؤتمر ووزعتها علينا فى جلسة الافتتاح .

ونظر يوسف السباعى فى القائمة التى أمامه . وقال لأعضاء المؤتمر :

ـ إن القائمة تحوى ٤٣ دولة مشتركة عدا ثلاث دول اشتركت بصفتها مستمعة واسماء الدول فى هذه القائمة ، ويستطيع المندوب الصينى ان يراجع القائمة على المندوبين الموجودين الآن فى القاعة .

وهز المندوب رأسه عدة مرات ، وقال ليوسف السباعى :

ـ عفوا ياسيادة السكرتير العام ، هناك وفد خلت القائمة من اسمه ، وقد تشرفت بلقاء رئيس الوفد وأجريت معه حوارا ووجهت له دعوة لزيارة

الصين وأعلن قبوله لها على الفور ، وهو دليل على أنه وفد محايد بالفعل ، وأنه جاء الى هنا على حسابه ومن حر ماله وليس عالة على الآخرين .

وتساءل يوسف السباعى :

وهل هذا الوفد موجود الآن فى القاعة ؟

ومسح المندوب الصينى القاعة ببصره ثم قال :

ـ للأسف الشديد لم أعثر له على أثر فى الصباح ، ويبدو أنه لم يحضر حتى الآن .

والوفد المحترم الذى اعنيه هو وفد الجيزة ، وهو مكون من خمسة أعضاء غير الرئيس ، وهو صاحب السعادة محمود برعى . والأعضاء هم : سعد برعى وأحمد برعى وسيد برعى الى آخره .. وسعادة رئيس الوفد يستقل سيارة من النوع المخصص لرؤساء الوفود ، وقد أعلن قبوله لدعوتنا له لزيارة الصين الشعبية ، ووعدنا بتقديم دعوة لنا لزيارة جمهورية الجيزة المناضلة التى تخلصت أخيرا من الاستعمار ، وفى نيتها مقاومة كل أشكال الاستعمار أيا كان لونه !

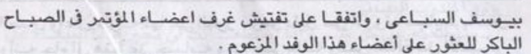
ولم يفطن يوسف السباعى ـ رغم ذكائه ـ الى أن المندوب الصينى كان ضحية هزار من النوع الثقيل ، وكان ينبغى أن يفطن الى ذلك بسبب أسماء أعضاء الوفد التى تنتمى كلها إلى عائلة برعى الشهيرة ! ولكنه قال لرئيس الوفد الصينى :

ــ على العموم .. كل الوفود موجودة الآن فى القاعة ، وهذه الجلسة بالذات لابد أن تحضرها كل الوفود ، فإذا كان هناك وفد لم يحضر حتى الآن فهو فى طريقه الينا على أيه حال .

ورد المندوب الصينى فى عصبية شديدة :

ـ واذا كان هناك مؤامرة لإبعاد هذا الوفد بالذات عن هذه الجلسة بالذات .ورد يوسف السباعى فى هدوء :

ـ عندئذ سيكون هناك حل لكشف هذه المؤامرة ، ولكى نكتشف من هو المتآمر ؟ هل هو سكرتارية المؤتمر ؟ أم هو رئيس الوفد الصينى ؟ ومضت الجلسة كما كان مرسوما لها من قبل وبعدها اجتمع رئيس الوفد الصينى



بيوسف السباعى ، واتفقا على تفتيش غرف اعضاء المؤتمر فى الصباح الباكر للعثور على أعضاء هذا الوفد المزعوم .

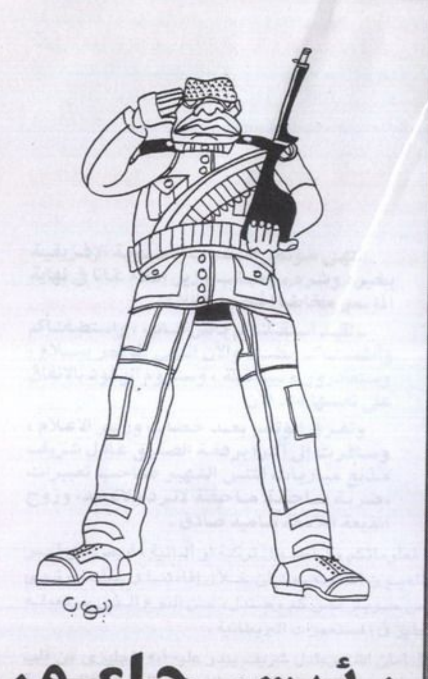
وبالفعل قام رئيس الوفد الصينى مع يوسف السباعى فى الصباح الباكر بتفتيش كل الحجرات ، حتى كان الدور على حجرة العبدش ، ليتم العثور على رئيس وفد الجيزة .

وصرت بعدها منبوذا من الوفد الصينى والوفود التى تسير فى مداره .. وقابل هذا النفور الصينى حفاوة بالغة من الوفد الروسى .. الشىء الوحيد الذى لم يفهمه رئيس الوفد الصينى هو ركوبى لسيارة رئيس أحد الوفود ، لم يفهم الصينى أن فى بلادنا ظروفا مختلفة وأوضاعا غريبة ، رئيس وفد خليجى من أغنى دول الخليج والجزيرة العربية يرفع راية الاشتراكية ، وكانت حركة كاذبة ، لأن صاحبنا هذا رئيس الوفد صار فيما بعد مليونيرا وبنكيرا يشار اليه بالشيكات ! طائرات خاصة وقصور فى لندن وكان وماربيا ، ولكنه أيام النضال الخنفشارى اضطر الى اقتراض عدة «أزواز» من الجنيهات الاسترلينية اضطرته الى التنازل عن جلبابه وسيارته .

وهكذا وصلت السيارة الى سعادة محمود برعى الشهير بمحمود السعدنى رئيس وفد الجيزة ، احدى الدول المناضلة التى تخلصت من الاستعمار حديثا ، وفى نيتها ان تقاوم كل أشكال الاستعمار أيا كان لونه ، ومهما تكن شعاراته!



٢٢



رئيس جاعورة

انتهى مؤتمر الشعوب الآسيوية الإفريقية بخيره وشره ، وخطب وزير إعلام غانا فى نهاية المؤتمر مخاطبا الحضور قائلا :

ـ لقد استقبلناكم بالترحاب ، واستضفناكم وأطعمناكم أيضا ، والآن انتهى المؤتمر بسلام ، وستغادرون ونيبا الليلة ، وستقوم الوفود بالانفاق على نفسها منذ الآن .

وتفرق المؤتمر بعد خطاب وزير الاعلام ، وسافرت إلى أكرا برفقة الصديق عادل شريف مذيع مباريات التنس الشهير صاحب تعبيرات «ضربة ساحقة ماحقة لاترد ولاتصد» وزوج المذيعة اللامعة سامية صادق .

وعادل شريف لمعلوماتكم من أصول تركية أو ألبانية ، أبيض على أحمر سمين ومن ذوى العيون الملونة ، وكان خلال إقامتنا فى غانا يرتدى «الشورت وقميص حرير نص كم وصندل» من النوع الذى يستعمله المستعمرون الإنجليز فى المستعمرات البريطانية ،

ووصلنا أكرا فى أمان الله ، وعادل شريف يبدو عليه أنه إنجليزى من قلب لندن ، والعبد لله فى زيه التقليدى ، الجلباب الأبيض والشبشب الزنوبة والطاقية الشبيكة والحزام هلا هاالله .. على رأى طاهر أبو فاشا يرحمه



الله.. ودخلنا على هذه الهيئة فندق الامبسادور فى أكرا ، وهو أرقى وأغلى فندق فى غرب إفريقيا ، وأمام مكتب الاستقبال سألنى الموظف الغانى : من أين ؟ قلت له على سبيل الهزار: رئيس جاعورا . وعندما نطقت بهذه الكلمة انحنى كل الموظفين الذين كانوا فى بهو الفندق ، وأشرت إلى المرحوم عادل شريف وقلت لهم : أريد حجرة لسكرتيرى بجوار جناحى مباشرة .

حتى هذه اللحظة كان الموضوع كله مجرد مزاح لا أكثر ولا أقل ، ولكن لأن المؤتمر كان يحضره أكثر من رئيس على شاكلة رئيس جاعورا ، وكانت هناك تعليمات بنزول الرؤساء زملائى فى أجنحة فاخرة ، وتوفير كل سبل الراحة لهم فقد وجدت نفسى فجأة فى الجناح الملكى ، وانحنى موظف الاستقبال للعبد لله وهو يسلمنى جواز سفرى المكتوب باللغة العربية ، والذى لم يفهم منه الموظف شيئا ، ودخلت المصعد ومن خلفى عادل شريف فى هيئة السكرتير المدرب على خدمة الرؤساء .

وخلال الأيام الثلاثة التى قضيتها فى الفندق، تركت لعادل شريف مهمة التفاهم مع إدارة الفندق ، مكتفيا أنا بالتفاهم مع السكرتير باللغة الجاعورية ، وتصورت أن إدارة الفندق تعلم حقيقتنا ولكنها تحب الهزار ، ولذلك كنت أرفض زجاجات الويسكى التى يصعد بها الجرسون إلى جناح رئيس جاعورة كل مساء ، فلم تكن الميزانية تسمح بتغطية مثل هذه النفقات ! ولكنى تأكدت بعد ذلك بأن الأمر جدوليس به أى أثر للهزار ، فقد طلبت من استعلامات الفندق أن تحجز لنا مقعدين فى استاد أكرا لمشاهدة مباراة كرة قدم بين أكبر ناديين فى أكرا ، ولم أكن قد شاهدت الكرة الغانية بعد ، وذهبت بنا سيارة ليموزين أعدها الفندق ، وانفتحت لنا البوابة الخارجية ودخلنا حتى المدرجات ، وعندما نزلت من السيارة بالجلباب والشبشب الزنوبة خبط العساكر الأرض بأحذيتهم وضربوا تعظيم سلام لصاحب الفخامة رئيس جاعورة ، واحتل فخامة الرئيس الذى هو العبد لله مقعدا فى الصدارة فى مقصورة الاستاد ، وجلس عادل شريف فى مقعد خلف صاحب الفخامة الرئيس ، وانهالت المشروبات من كل صنف يحملها جرسونات يرتدون الاسموكن والقفازات البيضاء ، ونظرت فى أنحاء المقصورة فلم أجد أحدا سوانا .

إذن كل هذه الاستعدادات كانت لحضرة صاحب الفخامة وبطانته ، يبدو أن الفندق اتصل بإدارة الاستاد . ليكون جاهزا لاستقبال صاحب الفخامة ، وشعرت بالفزع أثناء المباراة فقد أدركت أن مستقبل الكورة سيكون فى تلك البلاد ، واستبد بى الحماس فصفقت بشدة وهتفت لحارس المرمى الذى كان مستواه لايقل عن مستوى يانكس الانجليزى ، وبعد المباراة التفت حولى جماهير النادى الذى نال تشجيع فخامتى استحسانا ، وهتفت جماهير النادى الآخر بسقوط صاحب الفخامة ، وتدخلت قوات الشرطة لتأديب المشجعين الذين لايعرفون العيب ولايتمسكون بأخلاق الاستاد وأحاطنى البوليس الغانى بحزام من العساكر المدججة بالسلاح وجاءت السيارة الليموزين وأخذت العبد لله وخرجت بصاحب الفخامة من الباب الخلفى !

وفى اليوم التالى خرجت فى نفس السيارة إلى السوق ، وطلبت من السائق أن يذهب بنا إلى محل يبيع المصنوعات المحلية ، وإذا بى أجد نفسى فى محل فشر محلات باريس ، كان المحل يبيع بعض التماثيل الافريقية المصنوعة من العاج إلى جانب المشغولات الجلدية ، مع بعض الأحجار شبه الكريمة الموجودة فى التربة الغانية ، وعندما وضعت قدمى فى المحل انحنى صاحب المحل ومعه عماله تحية لصاحب الفخامة ، ووضعوا جميع المعروضات أمامى ، وإذا بالأسعار نار تليق بمقام حضرة صاحب الفخامة ، وعندما وجدت نفسى فى ورطة اعتذرت عن عدم الشراء ، ووعدت صاحب المحل بإرسال رجال الحاشية لاختيار مايليق بفخامتى ، وزيادة فى التمويه سألت صاحب المحل سؤالا على الماشى .. إذا كان يقبل شيكات صادرة عن البنك الجاعورى ، ورحب صاحب المحل مؤكدا لفخامتى ثقته الشديدة بالاقتصاد الجاعورى !

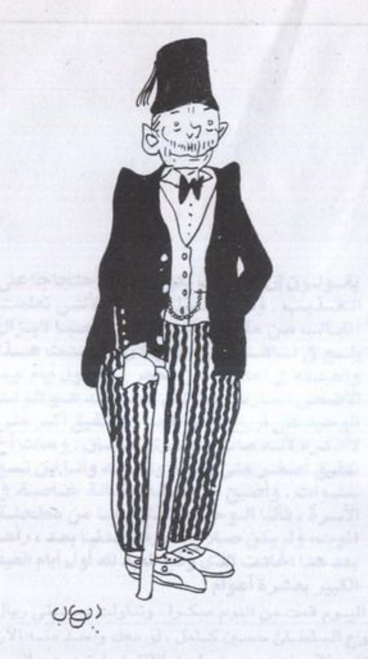
وانتهت زيارة صاحب الفخامة ، وجاءت لحظة الحساب ، وأمام موظف الاستعلامات قدموا الفاتورة لسكرتير صاحب الفخامة ، ووقع عليها عادل شريف . الحساب خالص وصاحب الفخامة على العين وعلى الرأس !! وضربت إيدى فى جيبى وأخرجت كبشة جنيهات غانية « ١٥٠ » جنيها تساوى جنيها استرلينيا ، وبالتأكيد كسروا دستة قلل وراء العبد لله .

وفى المطار حاولت بشتى الطرق إبعاد السائق والمرافق حتى يتسنى لسكرتير فخامتى حجز المقاعد لصاحب الفخامة فى الدرجة السياحية !! وربنا ستر لأن الحيلة انطلت على المرافق ، فقد طلبت منه أن يصحبنى إلى السوق الحرة ، وذهب الرجل الطيب معى ، وداخ دوخة الأرملة وأنا معه بحثا عن سجائر فاخرة أبحث عنها منذ فترة ، اسمها سمسون أرضى !! وسترها الله معنا حتى ركبنا الطائرة وانطلقت بنا فى الجو ، ولكن بعد عشر دقائق من الطيران والعبد لله الذى هو فخامة رئيس جاعورة يستعد للنوم ، فوجئنا بالطيار يذيع علينا أنه مضطر للعودة إلى أكرا لأمر هام لم يشأ أن يكشف سره للركاب ، فقلت لسكرتير فخامتى : لابد أنهم اكتشفوا اللعبة ولابد أننا سنقضى الشهور الستة القادمة فى سجن أكرا ، وهو سجن أجارك الله سجن فى غابة وأشغال شاقة مع ثعابين الكوبرا وأسراب العقارب السوداء ، وبدأت أستعد نفسيا لهذه النهاية التعيسة ، وهممت بالخروج من الطائرة وتسليم نفسى للبوليس عندما توقفت المحركات واستقرت بنا الطائرة على أرض المطار ، وراح سكرتير فخامتنا يبحث فى جيوبه عن نقود لعله يجد مايكفى لتسديد فاتورة الفندق ودفع التعويض إذا لزم الأمر مقابل عدم حشرنا فى سجن غانا الرهيب ، ولكن الطائرة ظلت جاثمة على الأرض ، ونحن مرابطون فى مقاعدنا دون أن يقتحم أبوابها طابور من المخبرين ، وبعد ساعة من الانتظار القلق القاتل أعلن الطيار أن العطل الفنى فى الطائرة قد تم إصلاحه ، وأن الطائرة فى طريقها إلى الجزائر العاصمة عن طريق داكار .

وفى الجو .. وعلى ارتفاع ٣٠ ألف قدم استراحت أعصاب رئيس جاعورة وسكرتيره الفخيم ، فقد مر الأمر بهدوء وبدون مشاكل وأصبح رئيس جاعورة حرا وبعيدا عن أكرا وبوليسها النشيط ، وأغمضت عيونى وأسلمت نفسى للنوم ، فى نفس الوقت الذى كان فيه شخير سكرتيرى الفخيم يتصاعد فى الفضاء !









بهلول هو المسئول !

يقولون إن التعذيب يكون أحيانا احتجاجا على التعذيب . وهو قول صحيح؛ لأننى تعلمت المقالب من مقلب أكلته فى فترة الصبا لايزال يلسع فى نافوخى حتى الآن . حدث هذا والعبدلله فى العاشرة من العمر . وفى أول أيام عيد الأضحى المبارك . ولما كان العبد لله هو الولد الوحيد على أربع بنات . مات أخ شقيق أكبر منى لاأذكره لأنه مات وعمرى عامان . ومات أخ شقيق أصغر منى رأيته ولاعبته وأنا ابن تسع سنوات . وأصبح للعبد لله مكانة خاصة فى الأسرة ، فأنا الوحيد الذى نجا من مطحنة الموت، ولم يكن صلاح قد رأى الدنيا بعد ، رآها بعد هذا الحادث الذى وقع للعبد لله أول أيام العيد الكبير بعشرة أعوام !

المهم اننى فى ذلك اليوم قمت من النوم مبكرا . وتناولت عيديتى ريال فضة كاملا من بتوع السلطان حسين كامل ، لو معك واحد منه الآن تستطيع بيعه للصائغ بمائة وخمسين جنيها على الأقل ! وارتديت ملابس العيد الجديدة وخرجت من حارتنا وإذا بى أفاجأ بعم بهلول واقفا على ناصية الحارة ومعه قفص وعلى القفص صينية ، وفى الصينية أوراق مطوية .. وبختك يابوبخيت ، وحظك ياصاحب الحظ والنصيب!

وباعتبارى رجل أعمال منذ مولودى ومبخت وحظى حديد ، قررت أن أستثمر أموالى ، ولابد أننى من أصحاب النصيب . ولو لعبت البلية فسيتحول الريال إلى عشرة جنيهات .. رأس مال يصلح بداية لرجل أعمال يبدأ الطريق .

وقفت أتابع فى البداية ولا أشترك فى اللعب . حول عم بهلول بعض الصبية من جيلى وثلاثة رجال فى سن عم بهلول . كلما تناول طفل ورقة مطوية طلعت على مفيش ، أما إذا تناولها رجل خرج من أحشائها بعض الجنيهات . وببراءة الطفولة سألت أحد الكبار عن الورقة التى اختارها فاضمن الربح الوفير .

وكان الرجل طيبا كما توقعت ، فأشار نحو ورقة ونصحنى بالتقاطها . ومددت يدى بالفعل والتقطت الورقة ودفعت فيها قرش صاغ كان يكفى لشراء رغيفين من أرغفة زمان . ولكن الورقة طلعت فاضية . ياللهول على رأى عمنا يوسف وهبى . وضرب شريك بهلول الذى تحول إلى مستشار للعبد له جبهته براحة يده آسفا على قلة البخت ، واعتذر للعبد لله على سوء تقديره واختياره ، وأشار نحو ورقة أخرى ، وترددت بعض الوقت ثم مددت أصابعى وقبضت عليها فى حرص شديد . وعندما تولى فتحها عم بهلول لم تجد فيها إلا الفراغ .

كان عم بهلول قد رأى الريال واستولى عليه بعد أن قام بفكه إلى قروش صاغ . وهمس الرجل المستشار فى أذنى بأن بهلول نصاب ، ونصحنى بالا أدعه يفتح الورقة وإنما أقوم بنفسى بفتحها وسأجد فيها حتما مايحقق أحلامى فى الثراء . ودفعت القرش والتقطت الورقة التى نصح بها المستشار ، وحاول عم بهلول فتحها ولكنى رفضت . وقمت بفتحها بنفسى، ولكن عم بهلول عصلج بشدة وراح يلاعب الورقة بأصابعه ويخفيها فى راحة يده ، وادركت أن المستشار صادق وأن عم بهلول يحاول إفراغ الورقة من الكنز الذى تخفيه .

ورفعت صوتى أهدد عم بهلول باللجوء إلى الشرطة . وارتعد عم بهلول لتهديدى فسلمنى الورقة مرعوبا . وعندما قمت بفتح الورقة كانت دهشتى كبيرة عندما وجدت بالورقة حتة بخمسة فضة عوضت خسارتى البالغة التى أصابتنى فى الصميم .

انفتحت شهيتى بشدة ، لقد بدأ العد التنازلى للوصول إلى الثراء . وهذه الحتة بخمسة هى أول الغيث ثم تنهال الجنيهات على رأس العبد لله . وانتابنى جنون حقيقى ، وبدأت التقط الورق الذى ينصح به المستشار ، ولكن الأوراق كلها كانت فارغة ، انه حظ سيىء هذا الذى حط على دماغ محسوبكم ، ولكن لابد أن ينجلى الليل وينكسر القيد وأحصل على فوائد استثماراتى كرجل أعمال ، لم أفطن إلى أن عم بهلول هو الذى دس الحتة بخمسة فى الورقة ليجر رجلى إلى حتفى !

وتحولت إلى مقامر وأنا فى العاشرة ، ولم يعد يهمنى الربح ولكن كل ماأسعى إليه هو التعويض . وفى دنيا المقامرين مثل يقول : ماتبكيش على اللى خسر ابكى ع اللى عايز يعوض ! وورقة فارغة وراء ورقة فارغة حتى فرغت جيوبى تماما من صنف العملة .

شعرت بحزن شديد وكأننى فقدت أعز شىء فى الحياة . جف حلقى وسرت برودة فى جسدى مع أن الجو كان يميل للحرارة . إلى أين أذهب الآن وفلوس العيد تبخرت ، تبددت أحلامى فى المراجيح وحديقة الحيوان والتهام الكنافة بالقشطة من دكان الحاج صبحى، والفرجة على السيرك ومشاهدة الرجل الوحش وهو يصارع الأسود . أنها أول وأكبر صدمة فى حياتى ولابد من الانتقام الرهيب ، سأذهب إلى الشرطة وأقودهم إلى عم بهلول وأنتزع الريال الفضة من جيبه بالعافية . ولكن أين عم بهلول ؟ لقد حمل القفص والصينية ورحل . ثم أنه لايخشى الشرطة وهو معتاد بين الحين والآخر على النوم فى الحجز داخل قسم الشرطة ، كما أنه معتاد إجرام وتردد على السجون عدة مرات . أين ذهب عم بهلول ؟ ليته يعود بقفصه وصينيته . ليتنى أعثر على ريال آخر أمارس به اللعبة إلى آخر النهار .

لم يعد يعنينى المكسب أوالخسارة ، ممارسة اللعبة هى الأهم . المقامر الحقيقى هو الذى لايسعى إلى مكسب ولايهتز لخسارة ، المهم أن يلعب ويواصل اللعب . ولذلك فأخطر آفة فى الوجود هى القمار . لأنك لوسكر ـ لامؤاخذة ـ ستشرب زجاجة ثم تترنح . ولوشمام ـ لامؤاخذة برضة ـ ستشم تذكرة أو تذكرتين ثم تكف . ولو رجل خلبوص سيقضى ساعة أوساعتين ثم يغيب فى رحلة نوم أشبه بالموت . ولكن القمار يختلف . لن يمنعك من مواصلة اللعب إلا أن تسقط مغشيا عليك أوتموت .

والغريب أن القمار كان داء بعض عظماء التاريخ المصرى : الزعيم سعد زغلول كان مقامرا من الطراز الأول . كان القمار هو تسليته الوحيدة ، واضطربت أحواله المالية كثيرا بسبب المقامرة ، واضطر إلى بيع أطيانه فى فترة من الفترات ليقامر بثمنها على الموائد الخضراء . والزعيم مصطفى كامل كان مقامرا لايشق له غبار وكان لاتهدأ نفسه إلا على موائد القمار .. والفنان الكبير كامل الشناوى كان مقامرا كبيرا ، ومع ذلك ضبطته ذات مرة وهو نائم على مائدة قمار . والفنان الكبير يوسف وهبى كان مقامرا بطبعه ، قامر بأسرته وبسمعته واشتغل بالتمثيل فى مطلع القرن ، وهى مهنة لم تكن تشرف صاحبها فى ذلك الزمان ! وكل أطباء العالم الكبار فى المهنة يلعبون القمار .

سألت أحدهم مرة عن سر هذه الظاهرة ، فأجاب : لأن مائدة القمار هى المكان الوحيد الذى ينسى فيه الناس أن الجالس معهم طبيب . هناك ظاهرة تستطيع أن تلمسها بنفسك . اجلس مع شلة بينهم طبيب ، لن تمر دقائق حتى يتحسس أحدهم جسده طالبا منه أن يشرح سر الألم الذى يشعر به فى رقبته أو كتفه أو أصابع قدميه ؟ ولكن على مائدة القمار ينسى الناس مهنة الطبيب ويتعاملون معه كمقامر . وهى مسألة تسعد الطبيب الذى يريد الناس أن ينسوا مهنته .

والكاتب الروسى العظيم دستوفسكى كان من المقامرين العظام ، وكتب رواية عن أحدهم أنتجتها السينما الأمريكية بعنوان (المذنب العظيم) وفتى الفتيان صخر شقيق الشاعرة الخنساء كان مقامرا عظيما ، وخسر كل قطيع الابل الذى يملكه فى لعبة القداح ، وهى عبارة عن رماح قصيرة وصغيرة الحجم توضع فى جراب، وكل مقامر يسحب رمحا منها يجد عليه رقما فيكسب من الآخر عددا من الابل يساوى الرقم المكتوب على الرمح . وكانت هذه اللعبة هى المفضلة عند شيوخ العرب قبل ظهور الاسلام وابن الأيهم ملك العرب الذى أسلم فى عهد عمر ورفض أن يصفعه الأعرابى كما صفعه أثناء الطواف بالكعبة ، ثم هرب ليلا من المدينة ولجأ إلى القسطنطينية واعتنق المسيحية ، لم يكن السر فى هروبه هو رفضه لتنفيذ أمر عمر بأن يصفعه الأعرابى ، ولكن سبب هروبه الحقيقى هو اكتشافه

بعد إسلامه أن الاسلام يحرم الميسر ويعاقب عليه . وعاش فى القسطنطينية يقامر حتى باع هدومه ومات فقيرا لايملك من حطام الدنيا شيئا .

والحمد لله لأننى تعلمت الدرس فى العاشرة من العمر . واكتفيت من المعركة التى خسرتها بالانسحاب من الشارع والعودة إلى البيت بعد ساعة واحدة من مغادرتى له . ودخلت إلى غرفة النوم وخلعت ملابسى الجديدة ونمت ، واندهشت المرحومة أمى كثيرا لهذا التصرف الذى كان غريبا على ولد شقى مثلى يعبد الشارع ويكره البقاء فى البيت . ولكننى برَّرْت تصرفى بأننى مريض أشعر بدوخة لا أعرف سببها . وبررتها أمى بأنها عين شريرة أصابت المحروس . وأطلقت البخور فى البيت ودعت الأسياد إلى التدخل لانقاذ الولد الحيلة من مصير أخويه اللذين سبقاه إلى دار النعيم .

والحق أقول لحضراتكم : إن حجم الكارثة التى أصابتنى فى ذلك اليوم ، تتضاءل إلى جانبها كارثة أوناسيس إذا خسر مائة مليون فى ساعة زمان ، لأنه إذا ضاع مائة مليون من أوناسيس فسيبقى خمسمائة مليون ، أماهذا الريال الفضة عيدية العبد لله فى عام ١٩٣٧ . هذا الريال الفضة بتاع السلطان حسين كامل .. فكان كل رأسمالى فى الحياة .

ولذلك .. فكل المقالب التى عملتها فى الآخرين ، السبب فيها هو المقلب الذى دبره للعبد لله عم بهلول ، الذى هو بالتأكيد الآن فى نار جهنم ، جزاء الصدمة الشديدة التى أحدثها فى نفس صبى صغير كان يخطو أول خطواته على الطريق !

